العدد السابع

السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

الاشتراكات

ص	
١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة

وللطلاب

٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة البريد خارج القطر

رمضان سنة ١٣٧١

يونيه سنة ١٩٥٢



لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » .

الصيام والقرآن :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ

اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَاهَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

***

ليس من غرضى أن أبين أحكام الصوم فى هذه الكلمات ، بل الغرض منها الإلمام ببعض المعانى التى قد تخطر بالبال عندما يوافينا شهر رمضان المبارك فى كل عام .

كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ؛ فجعل الله تبارك وتعالى الصيام أصلا من أصول الديانات كلها على خلاف فى كيفيته . وليس الغرض من الصيام — فى ظنى — إذلال النفس بكعها عن المأكل والمشرب والملذات ، بل الغرض منه رفع النفس الإنسانية عن شهواتها وتهيئتها لعظائم الأمور وتعويدها الصبر والاحتمال ؛ لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم كلما همّ بغزوة من الغزوات توطيناً لنفسه الشريفة على احتمال مايلاقيه فى سبيلها ، وتقرباً إلى الله تعالى بالطاعة ، وإرشادا للمسلمين إلى سلوك سبيل الاستعداد لاحتمال الشدائد . وليس فى ذلك إذلال للنفس ، بل فيه إثبات لعظمتها وقدرتها على التغلب على الحاجات والأهواء والتغلب على المعاصى والمنكرات . والنفس الذليلة هى التى تقارف المنكرات ، وأما النفس العظيمة فهى التى تعلو عليها ولا تتنزل إليها .

وليس الصيام هو الكف عن الطعام والشراب ، وما أُحلّ للانسان من طيبات أخرى ، بل هو — فيما أعتقد — كف عن جميع المحرمات من قول وعمل ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه من أجله » فالله تعالى ليس فى حاجة إلى أن ندع طعامنا وشرابنا من أجله إذا كذبنا أو اغتبنا أو سخرنا بغيرنا أو وعدنا فأخلفنا أو نظرنا نظرة سوء أو استقر الباطل فى أنفسنا أو قصرنا فى واجب أو تجاوزنا الحق فى حكم . . . إلى غير ذلك مما تشعر النفس بأنه معصية ، وإنما جعلته العادة أمراً مباحاً أو كالمباح .

وهذا تدريب على الخلق الفاضل والحياة الطاهرة ؛ فإذا لزم الإنسان مدة شهر كل سنة هذا الخلق وهذه الحياة كان خليقاً ألا ينحرف عن ذلك فى سائر الأيام ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وقد رأى بعض الفقهاء من الحديث السابق ذكره ، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل عمل أتى على غير أمرنا فهو رد » أن ارتكاب أى معصية مهما صغرت وهانت فى نظر مرتكبها تبطل الصوم .

فى الصيام ما يعلم الناس وما لا يعلمون من فوائد طبية مازال الطب الحديث يكشف عنها . ولست أقول ذلك لأبحث فيها ، فليس ذلك من شأنى ، وإنما ألفت النظر إليها لأبين أن الله يعلم من أمورنا مالا نعلم ، وقد فرض علينا من الفروض ما هو فى غنى عنه ، وإنما فرضه لمصلحتنا دون أن نعرف الفوائد التى تعود علينا منه ؛ فإذا أثبت الطب فائدة للفرض فكم من فوائد خفيت على الطب وتحققت بأداء الفروض دون أن يدركها الإنسان . فالفروض التى أمر الله تعالى بها علاج لتصحيح النفوس والأبدان يجب علينا أن نتقبلها ونؤديها من غير نظر إلى ما يكشفه الطب من فوائدها ، فهو يكشف عن شىء وتغيب عنه أشياء ، وإنما يعلم ذلك الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا .

من أنواع الطاعات التى يأتيها المسلمون فى رمضان الإكثار من تلاوة القرآن . والقرآن خليق بأن يكون إمام المسلم فى كل وقت وخصوصا فى رمضان . ولكننا نقرؤه على نحو لا يؤدى للغرض المقصود منه . وبعض الناس يفرضون على أنفسهم قراءة قدر منه كل يوم حتى إذا مر الشهر كان قد ختمه كله مرة أو مرات ثم طوى المصحف بعد ذلك فلا يعاود قراءته أو يعاودها بلا نشاط . وهو فى كل ذلك يمر على ما يقرأ مراً سريعاً لا يكاد يفقه لما يقرأ معنى ، أو لا يدرك إلا معنى القليل منه ..



وليست العبرة فى التلاوة بمقدار ما يقرأ المرء ، وإنما العبرة بمقدار ما يستفيد ؛ فالقرآن لم ينزل بركة على الرسول عليه السلام بألفاظه مجردة عن المعانى ، بل إن بركة القرآن فى العمل به ، واتخاذه نهجا فى الحياة يضىء سبيل السالكين ، فيجب علينا حين نقرأ القرآن فى رمضان أو فى غير رمضان أن يكون قصدنا من التلاوة أن نحقق المعنى المراد منها ؛ وذلك بتدبر آياته وفهمها والعمل بها .

وكان صحابة رسول الله عليه السلام لا يقرأون من القرآن إلا عشر آيات لا يجاوزونها إلى غيرها حتى يفهموها ويعملوا بما فيها ، فحبذا لو نهجنا نهجهم وسلكنا مسلكهم ؛ فإن فى القرآن آيات إذا تدبرها الإنسان وعمل بها لخرج من بيته ملاكا طاهراً وعاد إليه ملاكا طاهراً . ومن أنسب ما يتدبره الصائم هذه الآيات :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(١).

« صدق الله العظيم »

سياسة

رُبَّ غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه .

« الأحنف بن قيس »

---

(١) الفرقان : ٦٣ : ٧٧

بين يدى رمضان

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » .

***

روى الشيخان رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » .

وتلك حقائق جليلة القدر ، إذا تأملها الإنسان سرح خاطره فى آفاق خطيرة من علم الله وغيبه وسمياته لا طاقة له بإدراك كائناتها ولا تصوز شىء من هيئاتها !

وقد اعتاد بعض الناس أن يمروا بهذا الحديث الجليل وأمثاله مروراً عابراً ، كأنما يمرون بمعان عادية لا تستوقف الخاطر ولا تستلفت النظر ؛ مع أن الرسول عليه السلام لو لم يقررها لفنيت الأجيال ، وانقطعت الأعمار ، وانحسرت العقول دون تحصيل لمحة واحدة من حقائقهما ؛ فكأن الناس استغنوا عن فضل الله وما يقبل به على عباده فى مواسمه من منح ومغانم ونفحات فيها كل التوسعة على أرواحهم فى عالمهم هذا الضيق المادى المخنوق ! .

***

إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة فلا تغلق الشهر كله . . ومعنى ذلك أنها كانت مغلقة قبل حلوله ! .

وإذا جاء رمضان غلقت أبواب النار ، فلا تفتح الشهر كله .. ومعنى ذلك أنها كانت مفتحة الأبواب قبل حلوله !

فلو أن لنا بصائر تدرك مافى ملكوت الله من كائنات لطيفة دقيقة خفية ، لأدركت طرفا من سر الجحيم يسرى فى ضمير هذا الوجود من قبل تلكم الأبواب المفتحة فى سائر شهورالعام !.. ولو أن لنا بصائر تدرك ، لأدركت مافى سريرة الكون من لهفة ؛ وما لأرواح المؤمنين فى أبدانهم المادية من استشراف لغرة الهلال المبارك ، تقبل عليهم بريح الرخاء والسعة ، مؤذنة بعيد تصطفق له أجنحة الأرواح سروراً وبهجة . ولعلموا حقيقة معنى الأثر الكريم : « لو تعلم أمتى ما فى رمضان من الخير لتمنت أن يكون رمضان العام كله ! » .

ولكن مشاعر الناس علقت بظاهر الحياة الدنيا لا بضمير الوجود .. ووعيهم وُصل بكيانهم المادى لا بمدركات كائناتهم الروحية الدقيقة ؛ فهم يسمعون الكلام القدسى

أو يقرءونه دون أن تخلج فيهم خالجة فَهْم أو تأثر بما يقرءون أو يسمعون !

إننا فى رمضان بإزاء عيد عجب فذ بين أعياد الله ، وإن فى إغلاق أبواب النار وفتح أبواب الجنة لمعنى عظيما من إقبال الله سبحانه إقبالا لم يتشرف بمثله عيد سواه ! ! وإن من هذا العجب الذى لا تقف نفحاته وأسراره عند حد أن ليلة واحدة من لياليه ترجح فى ميزان الحق ليالى ألف شهر من الشهور الأخر . . ترجحها لا لأن أديمها رصع بماس ولؤلؤ ، أو حلى بذهب وفضة ، ولكن بما يكون فيها مما يحير الألباب ، ويدهش الأنظار ، إذ تغدو أرضنا هذه وقد نصب فيها عيد قدسى من إقبال الله وتجليه ، وما يغدق من رحماته ونفحاته ، حتى إن الملائكة لتهوى نفوسها إلى غشيان هذا العيد والمشاركة فى بهجته ونفحته ، فتستأذن ربها والروح فيها بإذنه من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ! !

***

لقد جاءت السنن الصحيحة بثواب من صام رمضان إيماناً واحتساباً !

وجاءت بثواب من قام رمضان إيماناً واحتسابا !

وجاءت بثواب من قام ليلة القدر ... وثواب من بسط كفه سخاء بالخير والصدقة للفقراء . . . ولكن لنا وراء ذلك كله مأرباً بل مآرب ! !

لنا وراء ذلك بصائر من النور نريد إدراكها بقلوبنا . . ومددا من عزائم الرشد نريد تحصيله لهممنا ونفوسنا ، فنحن أمة تقوم فى بيداء هذا العالم تجاهد للتحرير ، وتدعو أن تكون كلمة الله هى العليا ؛ فما لم يهب لنا من لدنه سلطاناً نصيراً فمن لنا بالنصير ؟ وما لم يجعل لنا من نوره نورا فأنى نلتمس ذلك النور ؟ !

إننا أمة غلبت علينا شهوتنا ، فعبدناها ، وتفرقنا فى محاريبها الخسيسة نعبد المال ، والبنين ، والنساء ، والجاه ، والإثم ، والرياسة ، والمجد الدنىء الكاذب ، فضعفت نفوسنا ، ودب الوهن إلى همم الكبار منا والصغار ، وصاروا مسوخا رخوة تلعب بها الشهوة ويطير بها الهوى فى كل واد . . . وها نحن أولاء بإزاء عيد روحى وفرصة لا يتيحها لنا الله إلا كل عام ، فيها المدد لعزائمنا ، وفيها النور لبصائرنا ، وفيها القوة لنفوسنا ، فهل نقبل عليها إقبالا يكافىء ما أقبل به سبحانه فيها من فضل ونعمة وشفاء ورحمة ؟

لقد أمر سبحانه بالجنة ففتحت ، وبالنار فأغلقت ، وبالشياطين فصفدت !! فماذا بقى علينا لإدراك فضله سبحانه ، والتخلص من سموم الإثم والهوى ؟... هل بقى على كل منا

إلا نفسه التى بين جنبيه يعالجها باليسير من الجهد ، وما أهونها وأضعفها بعد أن زال عنها عون قرينها المصفد فى الشياطين ! !

لأمر ما ، وحكمة جليلة ، فرض الله عز شأنه علينا أن نصوم رمضان ! فهل لنا أن نلتمس فى جوانب تلك الحكمة أن ذلك الصيام أريد به فيما أراد الله سبحانه أن يكون هو المجهود الذى يقبل به المرء على نفسه فيؤدبها به ويصفدها عن شهواتها كما صفدت الشياطين فإذا سرائر المؤمنين قد زال عنها كل ضباب ، وصار لا يحجبها عن فضل الله ونوره حجاب ؟ !

وهل لنا أن نستأنس لذلك بما علمنا إياه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الصيام الحق لا يكمل إلا بترك ما اعتادت النفس أن تلم به من هوى وإثم . . . « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه[1] » و « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم[2] » . . . وما أعمق ما يقول الله فى الحديث القدسى عن الطعام والشهوة : « ... إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى[3] » .

ونحب أن نقول إن خصائصنا الروحية إنما تحيا وتنتعش فى جو قدسى تراوحه وتغاديه أسرار النور والحياة ، وليس الإنسان فى الحقيقة سوى تلك الخصائص ؛ فإذا انصرف إلى شهواته الدنيا ، وأدار أعماله وأقواله على تلك المحاور ، فقد أفنى نفسه وحَىَّ فى غير حياة ، وليس كالشهوات ماحقاً لصفاته معطلا لخصائصه الأصيلة . . .

فصوم رمضان من هذا الوجه إن هو إلا منهاج يتدرب به المرء على تحرير نفسه والانسحاب بها من أسر المادة وظلمة الشهوة ، ليحيا ما شاء الله فى ملكوت الحياة الحق ويكون له ما شاء الله من خصائص الخير والفضيلة .

فالحرية الصحيحة لا يذوقها ولا يقدرها قدرها إلا من حى هذه الحياة .

والنفس الكريمة القوية التى يؤمن عليها ، ألاّ تلين أمام مساومات المادة إنما تستمد عناصرها ومقوماتها من هذا الأفق العلوى الكريم ، والروح الأبى الذى يرفض الضيم ويتأبى على الذل ، ويجاهد الطاغوت ، ويسعى فى إقامة الأوضاع العادلة إنما ينشق عبير هذا كله من هذا العالم الملكوتى الطهور . . . وكفانا بذلك عزيمة على الرشد وتوفيقاً إلى الخير وهداية إلى الصواب ! !

---

(١) رواه البخارى (٢) رواه مسلم (٣) رواه مسلم

قصص القرآن

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهى الخولى

(٦)

آفاق الإنسان :

روى أحمد ومسلم رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخُلق الإنسان مما وُصف لكم »

***

لم نزل بعد بصدد « تكوين الإنسان » أو بصدد ذلك التقويم الروحى المادى الذى قدر الله سبحانه أن يسوى عليه هذا الكائن الممتاز فى صفات خلقه ومشاعره وإدراكه وعقله المعجز الخطير !

لم نزل — بعد — بصدد الطواف حول ذلك المعنى الكبير ، نحاول الإلمام بجوانبه وآفاقه وعناصره التى قدر الله أن يتألف منها ؛ وهى آفاق تمتد أمامنا كلما أبعدنا النظر والتأمل فى قصة أبى البشر عليه السلام . .

ولو قدر للانسان أن يعيش فى هذه الأرض منطوياً على نفسه ، لا يتصل بشىء من حقائق هذا الكون ، ولا يتصل به شىء من تلك الحقائق لألفينا أنفسنا بإزاء أفق محصور ، وكائن مغلق عما حوله ، لا يمتاز فى إدراكه ومواهبه عن أى بهيمة مطموسة . . ولكن القصة الكريمة تطالع بصائرنا بغير ذلك ؛ تطالعنا — كلما أطلنا التدبر — بشواهد خطورة الإنسان وماله من شأن أى شأن فى هذا الوجود !

ولقد وقفنا فيما سبق وقفة قصيرة عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » وقلنا إن الله سبحانه فرق بين الحمأ المسنون الذى خلق منه الإنسان ، ونار السموم التى خلق منها الجان ، وهو لا يريد إفادة الخبر أو تقرير الحكم فحسب ؛ بل يريد إلى ذلك لفت الأنظار

إلى المقابلة بين أفقين متضادين : أحدهما محسوس ، والآخر غير محسوس ؛ ليرشح الأذهان لاستقبال ما يأتى فى بقية القصة من النص على اتصال البشر بهذا الأفق غير المحسوس ، واتصال هذا الأفق غير المحسوس به ... وهو اتصال لن يتيسر، ولن يتأتى إلا إذا كان فى طبيعة الإنسان مرونة تجعله يتصل أو يطل من خلال بشريته على ذلك الأفق الغيبى الخطير !

ولقد جعلنا فى صدر هذا الكلام حديثاً صحيحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه النور الذى خلقت منه الملائكة ، والنار التى خلق منها الجان ، ويشير إلى الأصل الذى خلق منه الإنسان . . . وأعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى بذكر هذه الثلاثة فى سياق واحد إلى أكثر من إفادة الخبر وتقرير الحكم ، فإنا نرى فيه بعثاً للأذهان أن تقابل بين عالم الملائكة وعالم الجان ؛ أو عالم النور وعالم النار . . ومما يعين على هذه المقابلة أن الرسول عليه السلام لم يصرح إلى جانب هذين الأصلين بالأصل الذى خلق منه الإنسان ؛ بل سكت عنه واكتفى بقوله : « وخلق الإنسان مما وُصف لكم » وتركنا بإزاء النور والنار وحدهما لتتم المقارنة . . والمقابلة فى عمق وطمأنينة ؛ وهى مقابلة تطلعنا على أفق ثالث من آفاق الإنسان التى يطل منها على ملكوت الله الخفى . .

ولقد نفخ الله من روحه فى الإنسان ، فكان ذلك الروح سر امتيازه وتفضيله وتعدد آفاقه ومواهبه ، وكان فيه إشارة إلى أفق آخر من آفاق الغيب يتصل به الإنسان ويتجاوب معه ، ويتعرض لما شاء الله من نفحاته .

فنحن — إذاً — بإزاء :

(١) أفق المادة .

(٢) وأفق الجن .

(٣) وأفق الملائكة .

(٤) وأفق الروح .

***

ولا نستطيع — ونحن بصدد تكوين الإنسان أو « تصميمه » — أن نهمل العلاقة الوثيقة بين تلك الآفاق وبين الخلافة التى أراد الله سبحانه أن يسندها إليه فى هذه الأرض . . . !

إن كلام الله سبحانه محكم الآيات ، مسدد الإشارات ؛ مامنه كلمة أو حرف إلا وقد فصله الله لمعناه ، وأراده منذ الأزل رمزاً لما شاء سبحانه من علمه : « كتاب أحكمت

آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »[1] ، « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »[2] ، «قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض[3] » .

وإنا لنظلم أنفسنا أشد الظلم إذا مررنا بتلك الإشارات الدقيقة دون أن نقف لنتأمل ماوراءها من آفاق هذا الكون الواسع الرهيب ! .

هذه واحدة ، والأخرى التى يجب أن نقدرها قدرها فى هذا المقام ، أن الله سبحانه إذ يحيى ويميت ، أو يعطى ويمنع ، لايفعل ذلك جزافا دون تقدير أو دراية لمواقع مايفعل ، بل هى الإرادة القدسية التى لا تتعلق إلا بالتقدير الدقيق ، والإحكام البالغ ؛ فتعطى بميزان ، وتخلق بقدر ، وتمنع لحكمة ؛ وليس قدر من هذه الأقدار إلا وهو مصيب محله لامحالة ، لايزيد عنه ولا ينقص ، ولا يجاوز موضعه ولا يحيد عنه قيد شعرة « إنا كل شىء خلقناه بقدر » ، « وكل شىء عنده بمقدار » ، « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

فإذا كان الله سبحانه قد أراد للانسان أن يكون خليفته فى هذه الأرض ، فإنه قد براه وقدره على وفق ماتؤدى به هذه الخلافة أفضل أداء .

وإذا كان سبحانه قرن لنا فى قصة تكوين الإنسان بين خلافته فى هذه الأرض ، وبين الآفاق التى قدر له أن يتصل بها ، فإن بين تلك الآفاق وتلك الخلافة علاقة أوجبت ذكرهما فى معرض « التصميم » الذى سوى عليه الإنسان ، وإذا كان الله عز شأنه قد أمد الإنسان بطاقات من المواهب وآفاق من المدارك ؛ فإن ذلك هو مقتضى « التصميم » الذى تعددت آفاقه ، وتنوعت جوانبه ، وأريد به للانسان أن يواجه كل أفق بما يلائمه من الخصائص التى يصلح بها أمر الخلافة .

فليس فى مواهب المرء شىء يزيد مثقال ذرة ، أو ينقص عن مقتضيات الوفاء بحقوق تلك الخلافة ؛ فإذا هو أدى الذى عليه ، ونهض بحق ماألقى إليه ، وتعرض لكل أفق بحسبه ، وأعطاه من نفسه كل حقه ، فقد أنصف نفسه ، وكان عند ماأراد له الله من كرامة . . . وإذا أرادها مأكلة وشهوة وملهاة ، أو اتصل بأفق دون سواه ، وعطل بعض مواهبه دون بعض ، فقد أغلق من نوافذ نفسه ، وغير خلق الله فيه ، وانسلخ عما أراد له سبحانه من كرامة .

١ — والكلام عن أفق المادة يتناول ناحيتين دقيقتين :

الأولى : علاقة هذا الأفق بخلافة الإنسان فى الأرض ، وهى علاقة تستبين واضحة إذا

---

(١) هود ٢ (٢) الأعراف ٥٢
(٣) الأعراف ٢٤

عرضنا للدور الذي تؤديه مواهب الإنسان في هذا الأفق وفق ما تقتضيه الخلافة من حقوق .. ونرجو الله جل ثناؤه أن يوفقنا إلى بيان شيء من ذلك حين نتكلم عن معنى الخلافة فيما نستقبل من كلمات هذا البحث إن شاء الله .

أما الناحية الثانية : فهي ناحية الوجدان الذي يربطنا بهذا الأفق . . . فالناحية الأولى خاصة بالصفحة المنطقية لعقل الإنسان ، وتلك خاصة بالوجدان الروحي الصادق الذي يحدد علاقتنا بهذه الأرض وما عليها . . .

وقصتنا الخالدة تنص على أن الأرض إن هي إلا مستقر موقت للانسان : « ..ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[1] » . . . هبط إليها من الملأ الأعلى وعما قليل سيرحل عنها إلى حيث يشاء الله : «قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون» ، « كما بدأكم تعودون » ، « وإن إلى ربك المنتهى » .

فوجود الإنسان في هذه الأرض مسبوق بعهد علوى قضاه في الملأ الأعلى ، وملحوق ببقاء مخلد فيما يشاء الله سبحانه . . . أي أن أفق المادة إذ يجذبنا إليه إنما يجذبنا بروابط مؤقتة ، لا تلبث أن تنحل عنا لنمضي إلى حيث يريد الحي الباقي جل ثناؤه .

وعلى ضوء الإيمان بتلك الحقيقة ، وفي مشاعرها القدسية الصادقة يجب أن نعيش في هذه الأرض ، ونتصرف فيها تصرف من لا يغيب عن ذهنه أنه ذو إقامة مؤقتة فيها ؛ أو تصرف الغريب الوافد لإقامة مؤقتة ، المتهيء لتلبية النداء في كل لحظة .

ولا نعرض هنا لبيان منهاج تلك الإقامة المؤقتة ؛ فلسنا بصدد الوعظ والتذكير ، وإنما بصدد تقرير الوجدان العميق الذي ينبثق في كيان المرء حين يعيش في ضوء هذه الحقيقة التي تقررها القصة . . . . . فتمثل في شعورك حقيقة الوجدان الذي يسيطر على نفس الغريب المترقب لإشارة الرحيل في كل لحظة ؛ وانظر كيف يتحكم ذلك الوجدان في تحديد علاقة صاحبه بالبيئة التي يقيم فيها ، وتحديد نوع التصرفات التي لا يتصور سواها من الغريب المعجل الذي يستحثه وجدانه كل آن للاستعداد والتطلع إلى أفق الرحيل .

تمثل ذلك الوجدان فهو كفيل أن يبين لك دستور تلك الإقامة المؤقتة ، ويمدك بالنظرة الصائبة التي تكشف لك قيم ما يكتنفك في أفق المادة ، ويحدد علاقتك بكل شيء . . . تمثل ذلك فهو المنهج الذي الزمه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الأعراف ٢٤

وأبان عنه بقوله : « ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها[١] » . وأوصى به زوجه لتكون على صراط مستقيم : « يا عائشة : إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب [٢] » .. وأوصى به صحبه وأمته ؛ إذ أخذ بمنكبى عبد الله بن عمر يوما فقال له : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[٣] . . . قال الإمام النووى فى شرح هذه الغربة : « لا تركن إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً ... ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله » .

ونقول مرة أخرى : إننا لا نقرر هذا للوعظ والتذكير ، وإنما نقرره لتنكشف حقيقة الوجدان الصادق الذى يجب أن تؤدى فيه مراسم الخلافة عن الله فى هذه الأرض ، فإذا تخلى المرء عن ذلك الوجدان ، أو غاب عن ذهنه معنى تلك الغربة التى ترسم له علاقته بكل شىء حوله ؛ فسد عليه أمره كله ، وانتقض نظام خلافته ، وعاش فى هذه الأرض على غير السنة التى أراد الله سبحانه . . . والقارىء الكريم فى غنى عن أن نورد له ما يعلمه من كلام الله عن أولئك الذين غاض فى نفوسهم شعور الغربة ، فرضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، واستحبوها على الآخرة ، .. وما وصفهم به سبحانه من كفر ، وما أعد لهم من عذاب . . . وشتان ما حال امرىء يزاول شأنه تحت شمس يقينه ، وامرىء نسى شأنه ، ونسى نفسه ، ونسى يقينه جميعا ! !

* * *

٢ — وقد اكتفينا بالكلام على العلاقة الوجدانية أو الروحية التى يجب أن تصلنا بأفق المادة ، ولم نتكلم عن الكائنات التى يتألف منها ، فلم نقل — مثلا — إنها الحديد والنحاس والذهب والفضة والتراب والخشب والشجر والنبات والطير والثمر والماء والشمس والقمر . . . لم نقل شيئاً من هذا أو نحوه ، فهو معروف للانسان واقع تحت حسه كلما قلب نظره بين كائنات السماء والأرض . . . فهل نمر هذا المرور

---

(١) من حديث رواه الترمذى .

(٢) من حديث رواه الترمذى .

(٣) رواه البخارى ... ويلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن السعى والعمل ، ولا يأمر بترك موارد الثروة فى أيدى أعداء الله ؛ إنما يقرر حقيقة الوجدان الذى يجب أن ننظر به إلى الدنيا فهو وجدان يهيمن على المادة ، ويجعل الدنيا سخرة لما أراد الله من الخلافة ، لا شهوة يركن إليها الناس ... وقد تعب الكثيرون فى إدراك المعنى الحقيقى للزهد ؛ فلعل شعور الغربة الذى يقرره الرسول عليه السلام يوضح ما خفى على بعضهم دركه .

بأفق الجن فنكتفى بذكر الصلة الروحية التى يجب أن تكون بيننا وبينهم دون أن نعرف عنهم شيئاً ؟

إن الكلام عن الجن قد لا يكون ذا صلة بتكوين الإنسان أو « بتصميمه » ولكن لا بأس بتناوله ما دمنا بهذا الصدد ؛ فلنا بهم علاقات ، وبيننا وبينهم ضروب من التجاوب والمعاملة .

فهم خلق خلقهم الله سبحانه وتعالى من مارج من نار ، ومنهم إبليس لقوله سبحانه : « إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . . . وهم جيراننا فى هذه الأرض يحيون فيها معنا، ولهم شأنهم بها . . وهم إذ يساكنوننا هذا الكوكب . . يروننا دون أن نراهم ؛ فلهم مداركهم التى يدركوننا بها ، دون أن يكون لنا مثل تلك المدارك : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » . . ويتناسلون ويتكاثرون : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ؟ » .

وهم مكلفون مثلنا إذ أخبر سبحانه أنه ما خلقهم إلا لعبادته : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ، ومأمورون أن يؤمنوا بكتب الله ورسله : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ،فلما حضروه قالوا أنصتوا ! ! . فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا :إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، يا قومنـــا أجيبوا داعى الله وآمنوا به . . الخ[1] » . . . ولكن منهم من سبقت له الحسنى فهو مؤمن بربه ، ومنهم من غلبت عليه شقوته فهو من الضالين : « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا .. وأنا منا المسلمون، ومنا القاسطون[2] » .

وفى إمكانهم أن يتصرفوا فى مادة هذه الأرض بسلطان من الله : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإنى عليه لقوى أمين » ، « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » .

وفى استطاعة الإنسان — بإذن الله — أن يسخرهم هذا التسخير ، ويتخذهم جنداً له إذا بلغ ما يرشحه لذلك من صفاء النفس وقوة الروح ، وإيثار الله له بفضله ؛ كما كان لسليمان عليه السلام إذ حشر له جنوده من الجن والإنس :« . ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير[3] » .

وإذا كان ذلك التسخير خصوصية لاتنبغى لأحد بعد سليمان عليه السلام ، فإن سر تلك الخصوصية لم ينقطع بعده ؛ فقد روى الشيخان رضى الله عنهما عن النبى

---

(١) الأحقاف : ٢٩ — ٣١ (٢) الجن : ١١ ، ١٤ (٣) سبأ : ١٢

صلى الله عليه وسلم « قال : إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى ، فأمكننى الله منه فأخذته ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ؛ فذكرت دعوة أخى سليمان : (رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) فرددته خاسئا » .. وكلنا يعرف مابلغ خوف الشياطين من عمر رضى الله عنه ؛ حتى إنه ماسلك فجا إلا تنحى له الشيطان عنه : « إيه يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا قط ، إلا سلك فجا غير فجك[1] » .

ومع ما يسر الله للانسان من أسباب القوة التى ترهب هؤلاء المردة، فإنا نعلم أن ليس هناك مايكف شرارهم عن مس بعض الناس مسا يضطرب به مزاجه ، ويختل له كيانه فيصاب بالصرع أو بغير الصرع من الأمراض العصبية !!

ولا يحسبن أحد أن ذلك من مخلفات عصور الجهل والخرافة فقد ورد به الكتاب فى قوله سبحانه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، ومن البعد عن الصواب أن نحمل هذا المس على أى لون من ألوان التأويل ؛ فإن الآية الكريمة لم تصطدم إلى الآن بقانون علمى ثابت ؛ وما زال الطب واقفا أمام أبواب تلك المجاهيل فى حيرة وعجز وتفويض إلى القوة الغيبية التى تحكم تلك الأسرار الغامضة ... ومادام الأمر كذلك فلا يجمل بنا أبداً أن نتبرع بتأويل كلام ربنا وصرفه عن وجهه فى غير ضرورة ... ذلك إلى أن السنة الصحيحة وردت فى هذا الباب بتفاصيل تقطع شك المرتاب ، وتثبت يقين من يحتاج إلى الثبات ؛ وقد عقد الإمام ابن القيم فصلا قيما عن ذلك فى زاد المعاد . فليرجع إليه من يشاء .

ومما له أوثق الصلة بموضوعنا أنه ما من آدمى إلا له قرين من شياطين الجن يلزمه حيث كان . وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « وإياى ، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » .

وفى قوله عليه السلام : « إلا أن الله أعاننى عليه » ما يدل على أن ملازمة القرين لا يقصد بها إلا البغى على الإنسان وإلحاق ما يمكن من الضرر به . . . وفى قوله : « فلا يأمرنى إلا بخير » ما يدل على أن إلقاء الشر والوسوسة به هى الضرر الذى يريد عدو الله إلحاقه بنا . إلا أن همة الرسول صلى الله عليه وسلم لوت زمامه وأحدث

(١) رواه البخارى ومسلم .

بخلاقيمه ، حتى أنزلته على أحكامها القدسية فأسلم فلا يكون منه إلا الخير .

وهنا حقيقتان يجب تقريرهما فى هذا المقام :

الأولى : أن الشيطان — كما قدمنا فى بعض كلمات هذا البحث — يتلطف فى تزيين الشر لقرينه .

والثانية : أن الشيطان يلزم قرينه أو يفارقه بقدر ما يجد من استسلامه له أو عصيانه ؛ فإذا أراه شدة فى أمر الله وتعظيما لحرماته قلص عنه وخنس ، وإذا أهمل وضيّع واستمرأ ما يزين له عدوه فهو المفتون الذى لبس الشيطان أو لبسه الشيطان أو لبس كلاهما الآخر ، كأن كلا منهما لفرط ما بينهما من وفاق ومواءمة قد فصل على قدر قرينه ، وهذا شأن أكثر الناس . وإلى هذا المعنى وإلى سابقه يشير قوله سبحانه : « وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم (١) » .

ولسنا نجد إعجازاً فى روعة التصوير ودقة التعبير عن معنى ملازمة الشيطان للمرء واشتماله عليه وإحاطته به من جميع أقطاره كذلك الذى نراه فى قوله سبحانه : « وقيضنا » أى قدرنا وأحكمنا تفصيل كل قرين على مثال صاحبه ... قال صاحب الكشاف : « وثوبان قيضان إذا كانا متكافئين » . . . ولعله مأخوذ من القَيْض وهو القشرة اليابسة العليا على البيضة ؛ فاشتمال الشيطان على قرينه اشتمال القيض على البيض هو التصوير المعجز لمبلغ استعلاء هذا العدو على الإنسان وتمكنه منه ومبلغ استخذاء الإنسان له وهو لايدرى ، بل وهو يظن أنه على هدى وصراط مستقيم . وما أحكم قوله جل شأنه : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٢) » .

ولعل تلك الملابسة والمزاوجة التى يستمتع فيها كل قرين بصاحبه استمتاعاً يصد عن الهدى ويفضى إلى دار البوار — لا محالة — هى المشار إليها فى قوله سبحانه : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (٣) » .

* * *

وتبدأ علاقة الشيطان بالإنسان منذ أبى أن يسجد لآدم عليه السلام .

وقد قررت القصة الكريمة أن الشيطان يضمر لنا أشد العداء ، ونادى الله سبحانه

---

(١) فصلت ٢٥ ٢ الزخرف ٣

(٣) الأنعام ١٢٨

به آدم عليه السلام ولفته إليه بما لايدع مجالاً للبس: « يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » . وقد تكلم كثيرون عن الحسد وغير الحسد مما يكنه الشيطان لنا ، ولكن القصة ألمت بالأصل العميق الجامع لكل ما تتسم به تصرفات هذا العدو معنا . فالحسد بغض نعمة الله على الغير وتمنى زوالها عنه ، فإذا زالت زال ما فى قلب الحاسد من موجدة ، أما ما يجد لنا هذا العدو فى خفايا نفسه فأوسع دائرة وأبعد مدى إذ لا يكف عن قرينه حتى يكبه فى سواء الجحيم ، وهيهات أن يشفى ذلك من ضغنته ويستل سخيمة نفسه .

وقد أمرنا الله سبحانه أن يكون شأننا معه على مثل ما يضمر لنا ، عداءً بعداء : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » فإذا كان شعور الغربة هو الوجدان الذى يجب أن نلتزمه بإزاء متاع الحياة الدنيا فإن شعور العداء والبغض هو الوجدان الذى يجب أن نستشعره بإزاء الشيطان ؛ فليس من المنطق ولا من طبائع الأمور أن نلقاه بغير ما يلقانا به من المشاعر : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . »

ولسنا بإزاء ذلك فى حاجة إلى تكلف هذا العداء والتصنع له ، فقد قدمنا من مخالفة الشيطان لأمر ربه ، وإلحاحه فى إنزال أفدح الضرر بأثمن ما لنا من ثروة العمل الطيب وخصائص الرشد ومدارك الصواب الروحى ، قدمنا من ذلك ما لو تدبرناه ببصائرنا حق تدبره ، وتمثلنا عواقبه الخطيرة ، لنشأ فى صدورنا من العداء والاستنكار والاستقذار ، ما لو وزع بعضه على أهل الأرض لتعادوا به فيما بينهم أشد العداء !

فإذا آمنا بتلك الحقائق وكانت الدار الآخرة هى وجهتنا ومطمح هممنا وبصائرنا ، فإن العداء الذى يدعونا إليه المولى سبحانه يصبح لازمة من لوازم نفوسنا لا تتحول عنه . . . نقول ذلك لا لنجعله أول مراتب النجاة من كيد هذا العدو فحسب . بل لنؤكد معه أو قبله أنه هو الحاسة المرهفة التى يجب أن تكون مصوبة على الدوام نحو أفق الشياطين ، وعلى هديها نتعامل معهم ونؤدى مراسم خلافتنا فى هذه الأرض . . . والله الموفق إلى سواء السبيل ؟

شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

٢ — حكم القرآن

١ — ذكرنا فى مقالنا السابق أن القرآن الكريم كفل حرية التدين لمخالفيه فى ظل حكومته بقدر لم يعرف فى التاريخ إلى اليوم ، ولم يجعل لما يسميه المحدثون وحدة القانون فى الدولة سلطانا يحاجز بينه وبين حرية التدين ، وحرية التحاكم على مقتضى ما يبيحه دينهم وما يمنعهم منه ؛ لأن القرآن هو شريعة العدل المطلق التى تعدل مع الموافق والمخالف على سواء . وما كان من شأن الشريعة العادلة السمحة الكريمة أن يحول بينها وبين إقامة العدل والحرية تنسيق قانونى شكلى .

وذكرنا أن القرآن الكريم كفل حرية الفكر ، وحرية العمل ، والحرية الشخصية ، وذكرنا أن أشد ما عنى به الإسلام هو حرية الضعفاء ، وخص نوعين من الضعفاء بحماية إنسانيتهما ؛ وهما المرأة والرقيق ، وأن وصايا النبى صلى الله عليه وسلم بهما استمرت من مبعثه إلى وفاته ؛ حتى كان آخر ما قال الوصية بهما .

وقد أشرنا من قبل إلى ما سلكه القرآن الكريم فى تخفيف ويلات الرق ، وكان أول نداء قوى وجِّه إلى الإنسانية داعيا إلى التحرير ، وإنهاء تلك الحال التى تجعل الإنسان شيئا من الأشياء ، وتهدر معها إنسانيته وكرامته .

٢ — والآن نشير إلى ما أعطاه القرآن المرأة من حرية كملت بها إنسانيتها فى دائرة الحياة التى خصصتها الفطرة الإنسانية لها .

لقد كانت المرأة فى البلاد العربية وما يجاورها متاعا أو كالمتاع ، لم يكن لها حقوق قبل وليها يزوجها بمن شاء ، وليس لها رأى فى أى أمر من أمورها ، ولا تستحق شيئا من ميراث ؛ فإذا انتقلت من أسر الولاية الأبوية أو ما يتشعب عنها إلى الزواج حلت ولاية الزوج محل ولاية الآباء من عصبتها ، فهى فى أسر دائم ورق مستمر يبتدىء معها من يوم أن ينبثق لها فجر الوجود إلى أن يضمها القبر ؛ فكأن الأنوثة سبب للرق المستمر ، لأنه سبب ملازم لا يقبل الانتهاء ، ولم تكن الحال خيرا من ذلك عند الفرس وغيرهم ، وأنه فى البلاد العربية كانت توجد قبائل تورث فيها المرأة كما

يورث المتاع ؛ فمن تكون زوجا لشخص تنتقل بالميراث زوجيتها إلى الورثة ، وكأنها رقيق تنتقل الملكية فيه إلى الورثة .

٣ — جاءت شريعة القرآن فصانت للمرأة إنسانيتها ، واعتبرتها إنساناً كاملا ، له كل حقوق الإنسان غير منقوصة ، وهى كالرجل فى الحقوق والواجبات التى تثبتها الإنسانية المجردة . ولأول مرة فى التاريخ الإنسانى تسمع الإنسانية كلام الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

(ا) منع الإسلام أن تنتقل الزوجة بالميراث ، وأبطل تلك العادة الجاهلية التى ما أنزل الله بها من سلطان .

(ب) كما حرم تحريما قاطعا عضْلَ المرأة : أى منعها ظلما من أن تتزوج الأكفاء من الرجال .. فقد قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف ؛ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

وكما منع أولياء الزوج إذا توفى من عضلها ومنعها من الزواج بالقوة والتهديد ، كذلك منع عضل أوليائها ، فلا يسوغ لأوليائها أن يمنعوها من الزواج من الكفء ، بل عليهن أن يسهلن ذلك لها ؛ ولذلك قال سبحانه وتعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

(ح) ومنع الأولياء من أن يزوجوهن من لا يرغبن ؛ فليس لأحد أن يجبر بالغة عاقلة على الزواج ، فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم الذى بيّن الكتاب الكريم للناس : « الأيم أحق بنفسها من وليها » .

ولا خلاف بين الفقهاء فى منع الإجبار عن البالغة العاقلة المجربة ، وإن اختلفوا فى توليها أمر العقد بنفسها ، فلا خلاف فى أصل الولاية وثبوتها لها ، إنما الخلاف فى إشراك وليها معها فى هذه الولاية من غير إلزام ولا إجبار ، بل الأمر أولاً وبالذات يعود إليها . ولأبيها أو أخيها فضل المعين ، حتى لاتضل فى تقديرها: يمدها بخبرته وبفضل مخالطته للناس ودراسته لأحوالهم ، ومعرفته بخبايا نفوسهم .

ومع ذلك فأبو حنيفة قرر — معتمداً على بعض صحاح السنة — أنها إن اختارت الكفء فليس لولى معها شأن . وإن ذلك القول لم تصل إليه المرأة فى الأمم الأوربية إلا منذ سنين(١) .

---

(١) إن القانون الفرنسى الذى يقدسه علماء القانون لا يعطى الفتى أو الفتاة حرية الاختيار =

٤ — ولم يكن ذلك فقط ما أعطاه المرأة من حقوق سبق بها كل الشرائع سبقاً بعيدا ؛ بل إنه اعتبرها ذات شخصية مستقلة تمام الاستقلال عن ذويها ؛ فجعل مالها منفصلا عن مال أوليائها، تديره بنفسها أو بوكيلها الذى تختاره اختيارا حرًّا، ولها أن تعزله فى أى وقت شاءت ، ولا رقيب عليها فى مالها إلا عقلها ورشدها ، وليس لأحد عليها فى مالها سبيل، إنما الأمر المطلق فيه إليها ؛ سواء أكانت متزوجة أم كانت غير متزوجة.

هذا ما يقرره القرآن ، ومحمد صلى الله عليه وسلم الذى شرح القرآن وبينه للناس. ومحمد النبى الأمى يقرر ذلك بينما القانون الرومانى ، والقوانين الحديثة التى اشتقت منه لم تعترف للمرأة بالشخصية المالية المنفصلة ؛ فمال زوجها ومالها شركة يديره الزوج. وإن القانون الفرنسى الذى أُحل فى مصر محل الشريعة فى المعاملات المالية تعد فيه المرأة المتزوجة ناقصة الأهلية ، فلا تستطيع أن تدير مالها الخاص بها ، ولا الأموال التى تكون شركة بينهما بحكم الزواج ، بل إدارة أموال الشركة المالية التى أنشأها الزواج للزوج فيها مطلق الحرية ، وليس لها إدارتها إلا بإذن منه ، وكذلك إدارة أموالها التى لا تدخل فى حكم الشركة ليس لها أن تتصرف فيها ببيع أو شراء أو رهن أو هبة إلا إذا كان معها زوجها فى العقد ، وأجاز لها كتابة ، إلا إذا كانت تاجرة محترفة ، وليس لها أن تخاصم أمام القضاء من غير إذن زوجها فى أى شأن من شئونها ، ولو كانت قبل زواجها محامية تذود عن الحقوق وتحميها.



٥ — أين هذا من شريعة القرآن التى تقرر أن للمرأة البالغة العاقلة الرشيدة الشخصية الكاملة فى إدارة أموالها وتصريف شئونها المالية ، وقد أجمع على ذلك الفقهاء الذين استنبطوا آراءهم الفقهية من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الشارحة لما جاء فى القرآن الكريم ، والمفصلة لمجمله . ولم يخالف ذلك الإجماع إلا أقوال شاذة قالها بعض المالكية ، ونسبوها للامام مالك ، وخالفها الأكثرون من المالكية. وهذه الأقوال تتعلق بموضعين : أحدهما بالنسبة للبكر البالغة ، فإنه روى فى المذهب المالكى أن ولاية مالها تكون للولى المالى حتى تتزوج ، أو تعنس ، ولكن يرد هذا قوله تعالى : « فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » والخطاب شامل يعم الذكر والأنثى ، بلا فرق بين بكارة وثيوبة .

= قبل الخامسة والعشرين للفتى ، والحادية والعشرين للفتاة ، فلا يجوز زواجهما فيه قبل هذه السن من غير رضا الولى . وبعد هذه السن إلى الثلاثين لابد من الاستئذان . وأين هذا مما قرره أبو حنيفة — معتمداً على بعض المأثور عن السنة النبوية — من أن البالغة العاقلة لها أن تزوج نفسها بمن تشاء من الأكفاء .

والموضع الثانى : أنه يروى أن مالكا يرى أن المرأة المتزوجة ليس لها أن تتبرع من مالها بأكثر من الثلث ، وأن الرواية الشاذة ليس لها أصل من كتاب أو سنة فهو حجر ليس له دليل ؛ وقد ردّ ذلك ابن حزم رداً عنيفا فقد قال : « قول مالك لا نعلم له متعلقاً من القرآن ، ولا من السنن ، ولا من رواية سقيمة ، ولا من قول صاحب ولا تابع ولا أحد قبله ، إلا رواية عن عمر بن عبد العزيز قد صح عنه خلافها ، ولا من قياس ولا من رأى له وجه[1] » .

٦ — هذه هى الحقوق التى أعطاها الشارع الإسلامى للمرأة ، ولم تكن لها من قبل ، ولم يعرف أن شريعة إلى آخر القرن الماضى أعطتها ما أعطاها القرآن ، وهى حقوق استحقتها بإنسانيتها وآدميتها ؛ فهى من تكريم الآدمية . وهناك حقوق لها تستمد من الأنوثة ، كما أن للرجل حقوقا تستمد من الرجولة ، فقد جعل لها الشارع حق القيام بشئون أولادها ورعايتهم حتى يبلغوا سنا تقارب سن البلوغ ، فجعل للنساء حق حضانة الأولاد ، ومنع الرجال من أن يحولوا بينهن وبين هذا الحق ؛ وهذا عمر ابن الخطاب أراد أن يأخذ ولده عاصما من جدته أم أمه ، وغالبته فى ذلك ، حتى وصلا إلى أبى بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتكمان فقال الصديق للفاروق : دعه لها . . مسُّها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك !

وكان حق التربية للمرأة لأن عملها داخل البيت ، وهى أقدر على القيام بشئون الأطفال ؛ فقد تربوا فى بطونهن أجنة ، فيتغذون فى حجورهن صغاراً ، حتى إذا شبوا عن الطوق تولاهم الرجل بالحياطة والكلاءة الأبوية .

***

٧ — إلى هنا قد أشرنا إشارة واضحة إلى الحقوق التى أعطاها الإسلام المرأة والرقيق ، والذميين فى حكمه ، ونريد من بعد ذلك أن نتصدى بإشارة موجزة إلى نظام الحكم القرآنى فى داخل الدولة الإسلامية ، ثم فى علاقة المسلمين بغيرهم ؛ لكى يطمئن الذين أصابهم هلع من حكم القرآن لأوهام توهموها ، وأراجيف صدقوها .

إن القرآن الكريم صرح بأسس الحكم الصالح بين الناس ؛ وأسس العلاقة الفاضلة بين الأمم ؛ فلنتكلم عن هذين الأمرين بكلمات موجزة غير مفصلة ، وإن كانت بينة واضحة .

٨ — والحكم الصالح فى الإسلام يقوم على ثلاث دعائم : أولها : إقامة العدل بكل ما تشتمل عليه كلمة العدل . وثانيها : الشورى بين المسلمين . وثالثها : رعاية المصالح الاجتماعية والشخصية ، وكل ما يجلب خيراً أو يدفع ضرا .

---

(١) راجع المحلى جـ ٧ ص ٣١٣ .

هذه هى الدعائم التى يقوم عليها بناء الحكم الصالح فى الإسلام ؛ على أن يكون ذلك فى ظل التدين الصحيح ، والخلق الفاضل ، والمودة الواصلة بين الآحاد والجماعات ، والتراحم والترابط ؛

وذلك لأن كل جماعة يوثق الروابط بينها نوعان من التوثيق : أحدهما : قوانين منظمة للعلاقات حاسمة لكل خلاف ، فاصلة فى كل نزاع مع ولاية حاكمة توزع العدل بين الناس ، وترعى مصالح العباد ، وتنظم الحقوق والواجبات ،

والنوع الثانى : فضائل تهذب القلوب ، وتربط النفوس . وإن هذا النوع لا يكون بأحكام قضائية رادعة ، ولا بأحكام إدارية مانعة ؛ إنما يكون ذلك بتهذيب نفسى ، وتربية وجدانية ، وتقويم خلق ، وقد عنى الإسلام بتلك التربية فى العبادات التى فرضها ، والإرشادات الخلقية التى نادى بها النبى صلى الله عليه وسلم ، ونطق بها القرآن الكريم مثل قوله تعالى فى الأدب النفسى : « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » ومثل قوله تعالى: « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فسعوهم بحسن أخلاقكم » ومثل قوله عليه السلام: « ابغونى فى ضعفائكم فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » ومثل قوله عليه السلام : « من لا يرحم لا يرحم » وهكذا من جوامع الكلم التى ترشد إلى السلوك الشخصى القويم ، والتى تكون الطاعة فيها ثمرة العبادة الخالصة لرب العالمين كما قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » .



أما النوع الأول من توثيق الروابط بين الجماعة ، فهو الذى ينظمه حكم القرآن ، وأساسه الدعائم الثلاث التى نوهنا عنها وهى : العدل ، ومصالح الناس ، والشورى .

وإن من الحق علينا أن نشير إلى كل واحد من هذه الأمور بكلمة مبينة ؛ وإن كانت فى ذاتها واضحة لا تحتاج إلى فضل من البيان .

٩ — دعا القرآن الكريم إلى العدل مع العدو والولى ؛ فإن العدل حقيقة خالدة ليست مقصورة على الأحباء ، بل إنها تعلو إلى المعانى القدسية عندما تشمل الأعداء ، وهذا هو معنى قوله تعالى : «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » وقد قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » .

فالعدالة الحق لاتفرق بين قريب وغريب ، ولا غنى ولا فقير ؛ بل إنها توزيع الحقوق بالقسطاس المستقيم ، وليس العدل فى القرآن حقا للحاكم يعطيه أو لايعطيه ، بل هو واجب عليه ، وهو أمانة فى عنقه ، ولذلك قرنه الله سبحانه وتعالى بالأمر بأداء الأمانة فى قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا » بل إن العدل أشد الأمانات وجوبا ، وأغلظها طلبا من الحكام ، ولعله الأمانة التى صعب على السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها ، كما قال تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

١٠ — والعدل له شعب شتى ، وفروع كثيرة ، وأقسام مختلفة الصور ، وإن اتفقت الحقيقة فى كلها ، فالحقيقة الشاملة لكل معانى العدل هى إعطاء كل ذى حق حقه ؛ سواء أكان ذلك الحق شخصياً ، أم كان اجتماعياً ، أم كان سياسياً . وكل تصعيب لوصول الحق إلى صاحبه أو إلقاء عقبات فى سبيله هو من قبيل الظلم ، ولقد أدرك ذلك المعنى الحكام القرآنيون الذين حكموا بحكم القرآن ، ونفذوا مراميه ، واستهدفوا أهدافه ؛ فعمر بن الخطاب كان يحسب أنه مسئول عن الشاة تضيع فى الصحراء ولايدركها صاحبها ، وكان يذهب إلى ذوى الحاجات بنفسه ، وكان يبث رسله فى الأقاليم يبحثون عن مقدار ما يقوم به ولاته من تسهيل الوصول إلى الحق ، وكان يجتمع فى الحج مع الحجاج الوافدين من الأمصار الإسلامية يسألهم عن ولاتهم ، ويتحرى أول مايتحرى عن توصيل الحقوق إلى أصحابها ، وكان ينهى ولاته عن اتخاذ الحجاب لكى تبدو صفحتهم للناس ، ويصل طلاب الحقوق إليهم ، وكان ينهاهم عن اتخاذ مساكن لهم يصعب على الناس الوصول إليها لرفع مظالمهم .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز أعادل الأمويين أمر المسلمين أرسل إلى الناس كتابا ينهاهم عن المجىء إليه ، حتى لاتنالهم شقة الطريق البعيده ، وأن الحق يصل إليهم فى مواطنهم ، وكان رضى الله عنه عند قوله ، فقد وصلت الحقوق إلى أربابها فى خلافته التى كانت قصيرة الأمد .

ولقد اعتزم الفاروق عمر بن الخطاب فى السنة التى توفى فيها أن يمر بالبلاد الإسلامية ليعطى أصحاب الحقوق ، ويشرف على توزيع العدل بينهم ، وهو النافذ البصيرة ، الحصيف الفكرة ، الذى يرى الرأى كأنه يستخرجه من وراء الغيب ؛ لبعد مدى فكره ،

وقوة إدراكه للأمور ، حتى لقد قال فيه محمد صلى الله عليه وسلم : « لو كان فى هذه الأمة محدثون (أى ملهمون) لكان عمر » .

١١ — وليس العدل فى حقيقته كما هو فى الإسلام وفى أحكام القرآن ، هو المساواة فى كل صورها ؛ بل إن من المساواة مايكون عدلا ، ومن المساواة ما يكون ظلما ! فالمساواة حيث تختلف الأسباب ، وحيث تختلف الأعمال وقوة الإنتاج ظلم كل الظلم ؛ فالمساواة بين العامل والخامل فى الجزاء ظلم ، والمساواة بين البر والفاجر فى الثواب ظلم ، والمساواة بين من تختلف مقادير أعمالهم ظلم . وإن الجزاء على العمل من جنسه وبمقداره ، وإنه كنتائج الزرع ، وثمار الشجر ، قد تفاوتت أقدارها لتفاوت الخصب والنماء فيها ، ولتفاوت العمل فى السقى والرعى ، ولتفاوت القيام والإشراف ، ولتخالف ماتمدها به الأقدار .

فإذا كان التفاوت فى الإنتاج والغلات فى الزرع والثمر أمراً فطريا محسوسا تراه الأعين ، فكذلك التفاوت فى الجزاء عند تفاوت العمل ؛ فليس الناس سواء فى قواهم ، فكذلك لايكونون سواء فيما ينالون من جزاء ، ومايستحقون من مكافآت . إن العدل فى هذه الأحوال هو التساوى بين العمل وثمرته ، لاالتساوى بين الأشخاص ، فإن كان ثمة ملازمة تفرض بين العدل والمساواة ؛ فهى المساواة التى لا تخص المساواة بين الأشخاص ، بل تتم المساواة بين الأعمال ونتائجها .



وليس العدل أن يكون الناس سواء فى الغنى أو الفقر ؛ لأن الغنى والفقر ثمرتان فى أكثر أحوالهما تفاوت العمل ، وتفاوت الفرص ، واختلاف المقادير ، واختلاف الهيئات المكانية والزمانية . ولذلك كان التفاوت بين الناس فى الغنى والفقر يشبه الحقائق الثابتة التى لايمكن محوها من الوجود الإنسانى ؛ لأن ذلك التفاوت لايمكن التحكم فى أسبابه ، إذ يتصل بالقوى الإنسانية ، والمقادير الأزلية ، وكلاهما ليس فى قدرة الإنسان التحكم فيهما ، وكل محاولة فى ذلك هى محاولة عقيم غير منتجة ولامثمرة ، بل إنها معطلة لقوى الموهوبين ، مثبطة لعزائم العاملين .

ولذلك اعترف القرآن بحقيقة الغنى والفقر ، ولم يحاول الشرع الإسلامى سن نظام المساواة بين الأغنياء والفقراء فى الثمرات والنتائج المالية ، ولكنه عالج الفقر بتخفيف ويلاته ، ومنعه من أن يدحض نفس الفقير ، ومدّ يد المعونة المنتظمة لكيلا يهوى به الفقر ، فتضعف قواه فلا يعمل ، ولا يمكن من العمل المنتج المثمر ، وجعل له كل الحقوق الإنسانية والقانونية والقضائية والسياسية والاجتماعية التى للغنى على سواء ؛ بل إنه جعل

له — إذا صبر وضبط نفسه ، وقوى عزيمته ، وأرهف قواه — فضلا أكبر من فضل الغنى ، وجعل له جزاء الصابرين .

فالإسلام إن اعترف بالغنى والفقر على أنهما حقيقتان مستقرتان لم يجعل الأغنياء طبقة لها حقوق ، والفقراء طبقة لها حقوق دون ذلك ، بل الحقوق القانونية والقضائية والإنسانية والسياسية وغيرها مما يكون مصدره التكليف الإنسانى ، كل ذلك سواء ، ولا تفاوت يعترف به الإسلام إلا فى مقادير الأموال ، ونتائج الأموال ، وألا يأكل الفقير مال الغنى بغير حقه ؛ لقوله تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض » .

١٢ — ومهما يكن من أمر التلازم بين العدالة والمساواة ، أو الانفكاك الفكرى بينهما ، فإنه من المقرر أن المساواة القضائية والقانونية والسياسية ركن من أركان العدالة ، وجزء من حقيقتها ؛ ولذلك سوى القرآن الكريم بين الشريف النسيب ، والضعيف فى الأحكام القضائية ، واعتبر القضاء الذى يكيل للناس بكيلين ، ويطفف لهذا ، ويزيد فى حقوق ذاك حكما جاهليا ، وقال فى اليهود عندما أرادوا أن يحكم للشريف بحكم غير الحكم المقرر : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

ولقد صرح بذلك القرآن فى مواضع كثيرة ، بل إن ذلك هو الحكم بالقسط الذى كرر المطالبة به . وإن الغنى والفقر ، والقوة والضعف لا تكون سببا لتفاوت الأحكام إلا حيث يسود الظلم ، وتفسد النفوس ، وتضل العقول فى إدراك معانى العدل؛ ولقد نادى محمد صلى الله عليه وسلم أول مطبق لحكم القرآن بأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ونادى بالمساواة فى الحقوق والواجبات الإنسانية التى تشتق من الإنسانية المجردة فقال : « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وعندما أريد منه أن يحكم للشريف بغير الحكم المقرر فى القرآن الكريم صاح بصوت رهيب قد شق بنوره حجبات الظلم فى كل العصور والأمصار : « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وعلى هذا المنهاج القوى سار الحكام القرآنيون ، ولا نحدثك عن عمر فى هذا فقد سبق والله فى هذا ، وهو كما قال على فيه وفى أبى بكر : « لقد سبقا والله سبقا بعيدا ، وأتعبا من بعدهما إتعابا شديدا ؛ فذكرهما حزن للأمة ، وطعن فى الأئمة » ؟

في ظلال القرآن

للأستاذ سيد قطب

« وإذ قالَ موسى لِقَوْمه : إنَّ اللهَ يأمُرُكم أن تذْبحوا بقَرةً . قالوا : أتتَّخِذُنا هُزُوًا ؟ قال : أعوذُ باللهِ أن أكُونَ من الجاهلين . قالُوا : ادعُ لنا ربَّكَ يُبيِّنْ لنا ما هِيَ ؟ قال : إنه يقولُ إنها بقَرَةٌ لا فَارِضٌ ولا بِكْرٌ ، عوَانٌ بين ذلِك ، فافعَلُوا مَا تؤْمرون . قالوا : ادْعُ لنا ربّكَ يُبيِّنْ لنا ما لوْنُهَا ؟ قال : إنه يقول : إنَّها بقَرَةٌ صفراء فَاقِعٌ لونهَا تَسُرُّ النَّاظِرِين . قالوا : ادْعُ لنا ربَّكَ يُبيِّنْ لنا ما هِيَ ، إنَّ البقَرَ تَشَابَهَ علينَا ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُون . قال : إنه يقولُ : إنها بقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تثيرُ الأَرْضَ ولا تَسقِي الحَرْثَ ، مُسَلَّمَةٌ لاشِيَةَ فيها . . قالوا : الآنَ جئتَ بالحقّ . فَذَبحُوهَا ، وَمَا كادوا يفْعَلُون .

« وإذ قتَلْتُمْ نَفسًا فادَّارَأْتُمْ فيها ، وَاللهُ مُخرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمون . فقُلْنَا : اضربوه ببَعْضِهَا . كذلك يُحْيِي اللهُ الموْتَى ، وَيُرِيكم آياتِه لعلَّكُم تعقِلون .

« ثُمَّ قَسَتْ قلُوبُكم من بعدِ ذلك ، فهي كالحجارةِ أوْ أشَدُّ قَسْوَةً . وَإنَّ من الحجارَةِ لمَا يتفَجَّرُ مِنْهُ الأنهارُ ، وَإنَّ مِنهَا لمَا يَشَّقَّقُ فيخرجُ منهُ الماء ، وَإنَّ منها لما يهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ . وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عمَّا تعْمَلُون » .

* * *

تأتى هذه القصة القصيرة فى معرض تذكير بنى إسرائيل بما كان منهم من انحراف وفسوق عن سبيل الله ، ومن إعراض عن الآيات بعد وضوحها وجلائها وقوة دلالتها ، ومن التواء ومماطلة عن استماع صوت الحق ، وإطاعة كلمة الله ورسوله .

وفى هذه القصة القصيرة مجال للحديث فى جوانب شتى . . جانب دلالتها على طبيعة إسرائيل التى عرض السياق من قبل صوراً منها ، وجانب دلالتها على قدرة الخالق وحقيقة

البعث ، وطبيعة الموت والحياة ، ثم الجانب الفنى فى عرض القصة بدءاً ونهاية وأداء فى هذا السياق .

فلنحاول أن نكشف عن شيء من هذه الجوانب لتلك القصة القصيرة .

***

إن السمات الرئيسية لطبيعة إسرائيل تبدو واضحة فى قصة البقرة : انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلك المعين الشفيف الرقراق .. معين الإيمان بالغيب ، والثقة بالله ، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل من عند الله ، ثم التلكؤ فى الاستجابة للتكاليف ، وتلمس الحجج والمعاذير ، والسخرية المنبثقة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان !

لقد قال لهم نبيهم : « إنّ الله يأمرُكم أنْ تذبحوا بَقرةً » وكان هذا القول بهذه الصيغة يكفى للطاعة والتنفيذ ؛ فنبيهم هو زعيمهم الذى أنقذهم من العذاب المهين ، برحمة من الله ورعاية وتعليم . وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه ؛ إنما هو أمر الله الذى يسير بهم على هداه . فماذا كان الجواب ؟ لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب ، واتهاما لنبيهم بأنه يهزأ بهم ويسخر ، كأنما يجوز لإنسان يعرف الله — فضلا عن أن يكون رسوله — أن يتخذ اسم الله وأمر الله مادة مزاح وفكاهة بين الناس : « قالوا : أتتخذنا هُزُواً ؟ » وكان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله ، وأن يردهم برفق ؛ وعن طريق التعريض والتلميح إلى جادة الأدب الواجب فى جانب الخالق جل علاه ، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لايليق إلا بجاهل بقدر الله ، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه : « قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » .

وكان فى هذا التوجيه كفاية ليثوبوا إلى أنفسهم ، وليرجعوا إلى ربهم ، وينفذوا أمر نبيهم . . ولكنهم من إسرائيل . وإسرائيل تلك سماتها فيما تقدم من السياق !

نعم ! لقد كان فى وسعهم — وهم فى سعة من الأمر — أن يمدوا أيديهم إلى أية بقرة فيذبحوها ؛ فإذا هم طائعون لأمر الله ، منفذون لإشارة رسوله . ولكن طبيعة إسرائيل المتلكئة الملتوية تدركهم ، فإذا هم يسألون : « قالوا : ادع لنا ربَّك يبيّن لنا ما هى ؟ » والسؤال بهذه الصيغة يشى بأنهم ما يزالون فى شكهم أن يكون موسى جادا فيما أنهى إليهم ! فهم أولاً : يقولون : « ادع لنا ربّك » فكأنما هو رب موسى وحده لا ربهم كذلك ، وكأن المسألة لا تعنيهم هم ، إنما تعنى موسى وربّه ! وهم ثانياً : يطلبون منه أن يدعو ربه ليبين لهم « ما هى ؟ » والسؤال عن « الماهية »

في هذا المقام إنكار واستهزاء . ماهى ؟ إنها بقرة ، وقد قال لهم من أول الأمر هذا ! بقرة ما ، لا صفة لها ولا سمة . وليتهم سألوا عن الصفة والسمة ؛ ولكنهم يسألون عن الحقيقة والماهية !

هنا كذلك أراد موسى أن يردهم إلى الجادة بأن يسلك فى الإجابة طريقاً غير طريق السؤال . إنه لايجيبهم عن « الماهية » وإلا كان ساخراً بنفسه وربه ، متابعاً لهم فى هذا الطريق المرذول . وهو كذلك لايجبههم بانحرافهم فى صيغة السؤال ، كى لايدخل معهم فى جدل شكلى خارج عن الموضوع . إنه يجيبهم كما ينبغى أن يجيب المعلم المهذِّب المربىِّ من يبتليه الله بهم من السفهاء المنحرفين الزائغين . يجيبهم عن صفة هذه البقرة التى كان يجب أن يسألوا عنها إذا كانوا لابد سائلين : « قال : إنها بقرة لا فارضٌ ولا بِكْرٌ ، عَوَانٌ بين ذلك » إنها بقرة لا عجوز ولا شابة ، وسط بين هذا وذاك . ثم يعقب على هذا البيان المجمل بنصيحة آمرة حازمة : « فافعلوا ما تُؤمرون » .

ولقد كان فى هذا كفاية كذلك لمن يريد الكفاية . وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين ، ولمح لهم بالأدب الواجب فى التلقى والسؤال ، أن يعمدوا إلى أية بقرة من أبقارهم لا عجوز ولا صغيرة ، متوسطة السن بين هذين ، فيخلصوا بها ذمتهم ، وينفذوا بذبحها أمر ربِّهم ، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق . ولكن إسرائيل هى إسرائيل !

لقد راحوا يسألون : « قالوا : ادعُ لنا ربَّك يبيِّنْ لنا ما لونُها ؟ » هكذا مرة أخرى : « ادع لنا ربَّك » ! ولم يكن بدٌّ وقد شققوا الموضوع وطلبوا التفصيل ، أن يأتيهم الجواب بالتفصيل : « قال : إنه يقول : إنها بقرةٌ صفراءُ فاقِعٌ لونُها تسرُّ الناظرين » .

وهكذا ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار — وكانوا من الأمر فى سعة — فأصبحوا مكلفين أن يبحثوا لا عن بقرة ، مجرد بقرة ، بل عن بقرة متوسطة السن ، لا عجوز ولا صغيرة ، وهى بعد هذا صفراء ، لونها فاقع الصفرة ، وهى بعد هذا وذلك ليست شوهاء ولا هزيلة ، بل « تسر الناظرين » وسرور الناظرين لا يتم إلا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط والتماع وامتلاء فى تلك البقرة المطلوبة ، فهذا هو الشائع فى طبائع الناس : أن يعجبوا بالحيوية والاستواء ويسروا ، وأن ينفروا من الهزال والتشويه ويشمئزوا .

ولقد كان فيما تلكؤوا كفاية . ولكنهم يمضون فى طريقهم يعقدون الأمور ، ويشددون على أنفسهم أكثر وأكثر ، فيشدد الله عليهم كذلك بما شددوا . لقد عادوا مرة أخرى يسألون عن الماهية : « قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ؟ » ويعتذرون عن هذا السؤال ، وعن ذلك التلكؤ بأن الأمر مشكل : « إن البقر تشابه علينا » وكأنما استشعروا لجاجتهم هذه المرة فهم يقولون : « وإنا إن شاء الله لمهتدون » .

ولم يكن بدّ كذلك أن يزيد الأمر عليهم مشقة وتعقيدا ، وأن تزيد دائرة الاختيار المتاحة لهم حصراً وضيقاً ؛ بإضافة أوصاف للبقرة المطلوبة كانوا فى سعة منها وفى غنى عنها : « قال : إنه يقول : إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولاتسقى الحرث ، مسلمة لاشية فيها » .

وهكذا لم تعد بقرة متوسطة العمر صفراء فاقعة فحسب ، بل لم يعد بدّ أن تكون كذلك بقرة غير مذللة ولامدربة على حرث الأرض ولاسقى الزرع ، وأن تكون كذلك خالصة اللون لاتشوبها علامة .

هنا فقط . بعد أن تعقد الأمر ، وتضاعفت الشروط ، وضاق مجال الاختيار « قالوا : الآن جئت بالحق » الآن ! كأنما كان كل مامضى ليس حقا ، أو كأنهم لم يستيقنوا أن ماجاءهم به هو الحق إلا اللحظة .. « فذبحوها . وما كادوا يفعلون ! » لطول ماتلكؤوا وماطلوا والتمسوا المعاذير .

عندئذ — وبعد تنفيذ الأمر والنهوض بالتكليف — كشف الله لهم عن الغاية من أمره : « وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها ، والله مخرج ماكنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها . كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

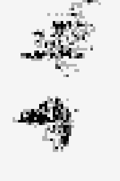
* * *

وهنا نصل إلى الجانب الثانى من جوانب القصة ، جانب دلالتها على قدرة الخالق وحقيقة البعث ، وطبيعة الموت والحياة ..

لقد كشف الله لبنى إسرائيل عن الحكمة من ذبح البقرة . لقد كانوا قتلوا نفسا منهم ، ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلصقها بسواه ، ولم يكن هنالك شاهد فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه بضربه ببعض تلك البقرة الذبيح . وهكذا كان ، فعادت إليه الحياة ، ليخبر عن قاتله ، وليجلو الريب والشكوك ، وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين .

ولكن فيم كانت هـذه الوسيلة ، والله قادر على أن يحيي الموتى بلا وسيلة ؟ ثم مامناسبة البقرة المذبوحة والميت المبعوث ؟

نحسب أن معنى الاختبار لمدى التلبية والطاعة واضح في التكليف بذبح بقرة . وقد شاهدنا كيف تلقى بنو إسرائيل الأمر ، وكيف ساروا به في ذلك الطريق المتعرج البطيء . ولعلنا نلمح مناسبة بين عبادة بني إسرائيل للعجل الذي أشربوه في قلوبهم — كما تقدم في السياق — وبين اختيار بقرة لتكون موضوع الاختبار !



هذا من ناحية شكل الاختبار ، أما من ناحية موضوعه ، فإنه ذلك البعث بأدنى وسيلة وبأيسر طريقة ، والانتقال من حالة الموت المؤكد إلى حالة الحياة والنطق والإرشاد إلى القاتل . وليس في البعض الذي ضرب به القتيل حياة ، ولامادة حياة . إنما هي قدرة الله التي لايدري البشر كيفية عملها . إنما هم يشاهدون آثارها ، ولايدركون طبيعتها : « كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » بمثل هذا الذي ترونه واقعا ولاتدرون كيف وقع ؛ وبمثل هذا اليسر الذي لاتعقيد فيه ولامشقة ..

إن المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة تدير رءوس البشر ، وتعجزهم عن التصور .. ولكنها في حساب القدرة الإلهية لاتزيد على توجه الإرادة : « كن . فيكون » و « صر . فيصير » .. كيف ؟ هذا مالا أحد يدريه . ومالايمكن لأحد أن يدركه .. فإدراك الماهية والكيفية هنا هو سر من أسرار الألوهية لاسبيل إليه في عالم البشر الفانين . وإن تكن دلالته في طوق العقل البشري إدراكها : « ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .



***

وأخيراً نلتفت إلى الجانب الفني في عرض القصة وأدائها . والجمال الفني لاينافي الصدق الواقعي — كما يتوهم بعض الزاعمين — إن الحقيقة يمكن عرضها عرضا جميلا من ناحية طريقة الأداء ، وهذا مانعنيه بالجمال الفني في قصص القرآن .

فهذه قصة صغيرة نبدؤها فإذا نحن أمام مجهول لانعرف ماوراءه . أي أمام نوع من العقدة الفنية في الرواية . نحن لانعرف في مبدأ القصة : لماذا يأمر الله بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ، ولعل بني إسرائيل لم يكونوا يعرفون كذلك ؟ إذ كان الغرض هو اختبار مدى الطاعة والتلبية والاستجابة .

ثم تابع القصة في الحوار بين موسى وبني إسرائيل مباشرة . على حين أنهم في كل مرة يطلبون إليه أن يسأل ربه ، وفي كل مرة يعود إليهم بالجواب من عند ربه .

ولكن القصة لاتقول : إنه راح يسأل الله ثم عاد ليجيب السائلين . وإن هذا السكوت لهو الأليق بعظمة الله التى لايجوز أن تكون فى طريق الحوار بين موسى وقومه المستهزئين الساخرين .

ثم ننتهى إلى الخاتمة حيث نفاجأ — كما لعل بنى إسرائيل قد فوجئوا — بتلك المباغتة الضخمة انتفاض الميت مبعوثا ناطقا على ضربة من بعض جسد لبقرة بكماء مذبوحة !

ثم على مباغتة ربما كانت أغرب وأعجب . . أن هذه المعجزة التى تزلزل المشاعر وتهز القلوب ، لم تهز حجارة القلوب القاسية فى إسرائيل : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة . . . » وهذه المباغتة الأخيرة مقصودة من سياق القصة كلها فى ذلك السياق العام قبلها ، لتصور الطبيعة الإسرائيلية العجيبة ، التى لا تزيدها الآيات إلا صفاقة ، ولا تزيدها الاختبارات إلا صلادة .

وذكر الحجارة هنا ، والموازنة بينها وبين القلوب الصلدة : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله . . . » إنه لا يجىء إلا ليؤدى غرضا فنيا فى جو القصة وما يحيط به — إلى جانب الغرض الدينى الذى يؤديه — فلقد سبق الحديث عن الصخرة التى انفجرت منها اثنتا عشرة عينا ، والصخرة التى رفعت فوق بنى إسرائيل ، كما سبق وصف الجو الصحراوى الذى يعيشون فيه ؛ فالتشبيه هنا بالحجارة تشبيه منتزع من البيئة ومن جو السياق العام ؛ وكأنما جاء ليرسم المشهد المصاحب لعرض القصة ، ويحقق سمة التصوير الفنى التى هى سمة بارزة فى التعبير القرآنى بوجه عام .

وهكذا يلتقى جمال التعبير بجمال التصوير ، ويتسقان مع سمو الأهداف وجلال المشاعر فى هذا الجو العلوى الكريم (١) .

---

(١) يعالج فصل « التناسق الفنى » فى كتاب : « التصوير الفنى فى القرآن » هذه السمة بتفصيل وتمثيل .

السنة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

(٧)

البواعث التى أدت إلى الوضع فى الحديث

بيّنا فى العدد الماضى أن الخلافات السياسية كانت السبب الأول من أسباب الوضع فى الحديث واليوم نتناول بقية هذه الأسباب وهى :

ثانياً : الزندقة

ونعنى بها هنا كراهية الإسلام ديناً ودولة ؛ فقد اكتسحت دولة الإسلام عروشاً وإمارات ، وزعامات كانت قائمة على تضليل الشعوب فى عقائدها ، وإذلالها فى كرامتها ، وتسخيرها للأهواء والمغانم الحسيسة ، وقذفها فى أتون الحروب التى كانت تثيرها رغبات الفتح والتوسع فى نفوس الملوك والقواد . ورأى الناس فى ظلال الإسلام كرامة للفرد ، واحتراماً للعقيدة ، وتحريراً للعقل ، وقضاء على الأوهام والأضاليل والشعوذة والتدجيل ؛ فأقبلوا عليه يدخلون فيه أفواجا أفواجا .

لقد كانت قوة الإسلام السياسية والعسكرية غالبة قاضية ، لم تبق لدى أولئك الزعماء والأمراء والقواد أى أمل فى استعادة سلطانهم الزائل ، ومجدهم المنهار ؛ فلم يجدوا أمامهم مجالا للانتقام من الإسلام إلا إفساد عقائده ، وتشويه محاسنه ، وتفريق صفوف أتباعه وجنوده .. وكان التزيد فى السنة أوسع ميادين الدس والإفساد لديهم ، فجالوا فيه وصالوا ؛ متسترين بالتشيع أحياناً ، وبالزهد والتصوف أحياناً ، وبالفلسفة والحكمة أحياناً . وفى كل ذلك إنما يتوخون إدخال الخلل فى بناء ذلك الصرح الشامخ الذى أقامه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقضى الله أن يظل أبد الدهر قائما سليما يعارك الحوادث ، وترتد معاول الهدامين فى أساسه إلى نحورهم خزايا نادمين .

ومن أمثلة ما وضعوه ليفسدوا به الدين ، ويشوهوا كرامته لدى العقلاء والمثقفين ،

ولينحدروا بعقيدة العامة ، إلى درجة من السخف تثير سخرية الملحدين ، هذه الأحاديث المكذوبة الآتية :

« ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق ، يصافح الركبان ويعانق المشاة » ، « خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره » ، « رأيت ربي ليس بيني وبينه حجاب ، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجا مخوصا من اللؤلؤ » ، « إن الله اشتكت عيناه فعادته الملائكة » ، « إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها ، فعرقت ؛ فخلق نفسه منها » ، « إن الله لما خلق الحروف سجدت الباء ووقفت الألف » ، « النظر إلى الوجه الجميل عبادة » ، « الباذنجان شفاء من كل داء » .

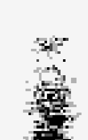
وهكذا دسّ هؤلاء الزنادقة آلافاً من الأحاديث فى العقائد والأخلاق والطب والحلال والحرام . وقد أقرّ زنديق أمام المهدى ، بأنه وضع مائة حديث تجول فى أيدى الناس . ولما قُدّم عبد الكريم بن أبى العوجاء للقتل اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ، ويحلل فيها الحرام ، وقد لمس بعض خلفاء بنى العباس ماوراء حركة الزنادقة من خطر على كيان الإسلام السياسى فتعقبوهم قتلا وتشنيقاً . وأشهر من عمل فى رقابهم سيف التأديب ، الخليفة المهدى الذى أنشأ ديواناً خاصاً للزندقة ، تتبع فيه أوكارهم ورؤساءهم من شعراء وأدباء وعلماء . . ومن أشهر هؤلاء الزنادقة الوضاعين : عبد الكريم بن أبى العوجاء ، قتله محمد بن سليمان بن على أمير البصرة ، وبيان بن سمعان المهدى ، قتله خالد بن عبد الله القسرى ، ومحمد بن سعيد المصلوب ، قتله أبو جعفر المنصور .

ثالثا : العصبية

للجنس والقبيلة واللغة والبلد والإمام ؛ كما وضع الشعوبيون حديث : « إن الله إذا غضب أنزل الوحى بالعربية ، وإذا رضى أنزل الوحى بالفارسية » فقابلهم جهلة العرب بالمثل فقالوا : « إن الله إذا غضب أنزل الوحى بالفارسية ، وإذا رضى أنزل الوحى بالعربية » . وكما وضع المتعصبون لأبى حنيفة حديث : « سيكون رجل فى أمتى يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتى » . ووضع المتعصبون على الشافعى : « سيكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس هو أضر على أمتى من إبليس » ، ومثل ذلك يقال فى الأحاديث الموضوعة فى فضائل بعض البلدان والقبائل والأزمنة ، وقد بينها العلماء وميزوها من الأحاديث الصحيحة فى هذا الموضوع .

رابعا : القصص والوعظ

فقد تولى مهمة الوعظ قصاص لا يخافون الله ، ولا يهمهم سوى أن يبكى الناس فى مجالسهم ، وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون ، فكانوا يضعون القصص المكذوبة وينسبونها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن قتيبة وهو يتكلم على الوجوه التى دخل منها الفساد على الحديث . . والوجه الثانى : القصاص فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ، ويشيدون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن نظر العقول أو كان رقيقاً يحزن القلب ، فإذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل فى ميل ، ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة فى كل مقصورة سبعون ألف قبة فلا يزال هكذا فى السبعين ألفا لا يتحول عنها .



ومن أمثلة هذا القسم : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان » ، ومن عجيب أمر هؤلاء القصاص ، جرأتهم على الكذب ووقاحتهم فيه؛ فقد صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بمسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص ، فقال حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساق الحديث السابق ، واستمر يذكر فيه نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى . . ويحيى ينظر إلى أحمد فقال : أأنت حدثت بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما انتهى أشار له يحيى فجاء متوهما نوالا فقال له يحيى : من حدثك بهذا ؟ قال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فقال يحيى : أنا يحيى وهذا أحمد ما سمعت بهذا قط فى حديث رسول الله ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، فقال القاص : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققته إلا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف ؟ فقال : أليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

خامسا : الخلافات الفقهية والكلامية

فقد نزع الجهال والفسقة من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية إلى تأييد مذهبهم بأحاديث مكذوبة ؛ من ذلك : « من رفع يديه فى الصلاة فلا صلاة له » ، « المضمضة والاستنشاق للجنب ثلاثاً فريضة » ، « أمنى جبريل عند الكعبة فجهر بسم الله الرحمن الرحيم » ، « من قال القرآن مخلوق فقد كفر » ، « كل من فى السموات والأرض

وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن . وسيجيء أقوام من أمتي يقولون : القرآن مخلوق فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعتها » .

سادساً : الجهل بالدين مع الرغبة في الخير

وهو صنع كثير من الزهاد والعباد والصالحين ؛ فقد كانوا يحتسبون وضعهم للأحاديث في الترغيب والترهيب ظناً منهم أنهم يتقربون بذلك إلى الله ويخدمون دين الإسلام ويحببون الناس في العبادات والطاعات ، ولما أنكر عليهم العلماء ذلك وذكروهم بقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قالوا نحن نكذب له صلى الله عليه وسلم لا عليه . وهذا كله من الجهل بالدين ، وغلبة الهوى والغفلة . ومن أمثلة ماوضعوه في هذا السبيل ، حديث فضائل القرآن سورة سورة فقد اعترف بوضعه نوح بن أبي مريم ، واعتذر لذلك بأنه رأى الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحق . ومن هؤلاء الوضاعين غلام خليل ، وقد كان زاهداً متخلياً عن الدنيا وشهواتها ، منقطعاً إلى العبادة والتقوى محبوباً من العامة ، حتى إن بغداد أغلقت أسواقها يوم وفاته حزناً عليه ، ومع ذلك فقد زين له الشيطان وضع أحاديث في فضائل الأذكار والأوراد حتى قيل له : هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق . . فقال وضعناها لترقق بها قلوب العامة . .

سابعاً : التقرب للملوك والأمراء بما يوافق أهواءهم

ومن أمثلة ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم ؛ إذ دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور : « لا سبق إلا في نصل أو حافر » وزاد فيه « أو جناح » إرضاء للمهدي .. فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم ، ثم قال بعد أن ولى : « أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأمر بذبح الحمام .

وهنالك أسباب أخرى للوضع : كالرغبة في الإتيان بغريب الحديث من متن وإسناد والانتصار للفتيا ، والانتقام من فئة معينة ، والترويج لنوع من المآكل أو الطيب أو الثياب وقد توسع العلماء في ذكرها ، وضربوا لها الأمثال .

ونتيجة لما ذكرناه من بواعث الوضع نذكر فيما يلي أشهر أصناف الوضاعين وهم :

(١) الزنادقة . (٢) أرباب الأهواء والبدع .
(٣) الشعوبيون . (٤) المتعصبون لجنس أو بلد أو إمام .
(٥) المتعصبون للمذاهب الفقهية مع جهل وقلة دين . (٦) القصاص .

(٧) الزهاد والمغفلون من الصالحين . (٨) المتملقون للملوك والطالبون الزلفى إليهم .
(٩) المتطفلون على الحديث ممن يفاخرون بعلو الإسناد وغريب الحديث .

ولا بد لى فى ختام هذا البحث من إبداء ملاحظة كثيراً ما ترددت على الخاطر ، ثم قويت أثناء كتابة هذا الفصل ؛ وهى ما كان لتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيء جرّ على الدين كثيراً من البلاء ، ولو وقفوا منها موقف الجد وقضوا على رؤسائها كما هو حكم الله فى مثل هذه الحالة لما انتشر هذا الانتشار . بل رأينا — مع الأسف — أن خليفة كالمهدى رغماً من اعترافه بكذب غياث بن إبراهيم وزيادته فى الحديث تقربا إلى هواه ، كافأه بعشرة آلاف درهم . . . وما تقوله الرواية من أنه أمر بذبح الحمام لأنه كان سبباً فى هذه الكذبة فهو مدعاة للعجب ؛ إذ كان للمهدى أن يؤدب هذا الكاذب الفاجر ، ويترك الحمام من غير ذبح ، بدلا من أن يذبح الحمام ويترك من يستحق الموت حراً طليقاً ينعم بمال المسلمين .. بل نحن نرى للمهدى تساهلا آخر مع كذاب آخر، وهو مقاتل بن سليمان البلخى ؛ فقد قال له مقاتل : إن شئتَ وضعتُ لك أحاديث فى العباس وبنيه ، فقال له المهدى : لا حاجة لى فيها . . ثم لم يفعل معه شيئا . ونجد الرشيد — وقد ذكر له أبو البخترى الكذاب حديثاً مكذوبا : أن النبى كان يطير الحمام — لا يزيد فى تأنيب أبى البخترى — وقد أدرك كذبه — على أن يقول له : اخرج عنى ، لولا أنك من قريش لعزلتك ؛ وقد كان هذا الكذاب قاضياً للرشيد .



إن هذه المواقف مما يحاسب الله عليها هؤلاء الخلفاء الذين اشتدوا فى تعقب الزنادقة والخارجين على حكمهم ؛ تعقبوهم قتلا وإغراقاً وخنقاً ليحتفظوا بالملك لأنفسهم ، ولم يفعلوا عشر هذا مع الكذابين والوضاعين الذين تقربوا إليهم بالكذب على رسول الله إرضاء لأهوائهم . ولقد كان القصاص يملأون المساجد بأكاذيبهم على مسمع من الأمراء والملوك ، وكان الكذابون من الزهاد وغيرهم يسرحون ويمرحون دون أن يجدوا من يضرب على أيديهم ويوقفهم عند حدهم . ولولا أن هيأ الله لدينه العلماء الأثبات ، والأئمة الحفاظ فى كل مصر وعصر يذبون عن شريعة الله تحريف المحرفين ، ويجردون سنة رسول الله من كل ما خالطها من دسّ وتحريف ؛ لكانت المصيبة شاملة ، ولكانت معالم الحق فى دين الله مدروسة مطموسة ، لا نستطيع أن نهتدى إليها إلا بشق الأنفس ، وهيهات أن نصل إلى اللباب الحق لولا نهضة السلف الجبارة التى قاوموا بها الوضع والوضاعين ، وحفظوا بها حديث رسول الله من الكذب والكذابين إلى يوم الدين ؟

ركائز دعوة الإسلام

(١) الإيمان بالله

دعوة

وعدنا فى العدد السابق أن نتناول الحديث عن الركائز الأربع تباعاً :

الإيمان بالله .

ووحدة أحكام الشريعة .

وأخوة الإسلام .

والجهاد فى سبيل الله .

ولن يكون تناولنا لها تناولا فلسفياً نسترسل به مع التلذذ العقلى والفروض والنظريات ، ولا تناولا علمياً جافاً نقصد به الدورة الفنية حول النصوص وفق أصول الفقه واصطلاحات الفقهاء . لا ؛ ونحن إنما أسميناها ركائز « دعوة الإسلام » حتى ترتسم بها معالم هذا الإسلام — وسط الدياجير القائمة التى تغشى المسلمين — دعوة حية واعية تأخذهم إلى النور كما أخذت أسلافهم أول مرة . . . وإنما تنجح « الدعوات » فى التمكين لأهدافها ، وفى قهر كل صعب يقف دونها إذا ظلت محتفظة بأمرين اثنين :

« أولهما » : انبعاث الهمة فى المؤمنين بها ، وإزكاء طاقاتهم وتحريكها ؛ وذلك لايتم لها إلا إذا ظل خطابها غضاً حاراً يخاطب العاطفة والمشاعر ، وينفر من الجدل العقيم .

« وثانيهما » : ألا يكون تعرضها للمشاكل القائمة بين يدى الناس إلا بمقدار مايرسم لهم خطوطاً واسعة عريضة تتميز بها شخصيتها الجديدة ، وأن تقف فى ذلك على حد دقيق لايتأثر معه الأمر الأول باسترسال نظرى ، أو جدل كلامى تتبعثر به الطاقة الناشئة ، ولا تقصر عنده الدعوة الجديدة عن التجاوب العملى مع الناس فى إدراك حاجاتهم والشعور بمظالمهم ، وفى وضوح معنى « الإنقاذ » إذا هيئت لها أسباب الغلبة والنصر . هو حد دقيق صعب ، ولكنه وحده المقياس الصادق لكفاية أصحاب كل دعوة تستهدف تغيير أوضاع سيئة قائمة بأوضاع كريمة كثيرة التكاليف لم تتوفر بعد أسباب قيامها ؛ وهو وحده الحد الذى تسد عنده أكثر الثغور على كل ناغ متربص ، وتمضى به الدعوة حيَّة قوية غير مضطرة أن تبذل فوق حاجتها ، أو أن تجامل أهواء الناس على حساب فكرتها .

داعية الإسلام الأول :

وداعية الإسلام الأول هو رسول الله صلى الله عليه ، وهو بسمته المشرق وأخلاقه العالية وأسلوبه المأثور وحياته كلها ، هو بكل ذلك صلى الله عليه وسلم الثوب الذى نسجته يد الله لتلبسه معانى الإسلام للناس ، والصورة الإنسانية الكاملة فى التخلق بأخلاقه وفى الدعوة إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (١) . فإذا كان القرآن هو المرجع النظرى لدعاة الإسلام فإن سيرة داعيته الأول هى المرجع التطبيقى بين أيديهم ؛ إذا اختلفت أفهامهم حول آية ففهمه صلى الله عليه وسلم — حين يثبت — هو الفهم ، وإذا تباينت أساليب الدعوة فأسلوبه هو الأسلوب ، وإذا اضطربت الأذواق فذوقه هو الذوق الإلهى الرفيع .

مكان الإيمان فى دعوة الرسول :

ولعلك إذا استقصيت شأنه صلى الله عليه وسلم مع الناس فى كل أحواله لوجدته شأناً واحداً لايختلف ، وحقيقة مستعلنة لاتخبو أشعتها : كان « داعياً إلى الله » يذكر بالله حاله ومقاله ؛ فهو فى همسه حين يهمس ، وفى هديره كالسيل حين يخطب ، وفى قضائه حين يفصل بين الناس ، وفى ضربة سيفه أو رمحه فى جبهة القتال ، وفى حفظه لعهده مع معاهديه — وإن كانوا ألد الأعداء — وفى تنظيمه لسائر شئون المسلمين ، هو فى ذلك جميعه يحمل حقيقته الربانية الثابتة وراء فكره ولسانه ، ويسعى مع الحياة فى مختلف جهاتها بدعوة سافرة يفهمها الأمى الذى لم يدخل مدرسة،والعالم الذى أحرز من العلم أوفى نصيب .

«.. يا أيها الناس : إنى رسول الله إليكم جميعا : الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو ، يحيي ويميت ؛ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (٢) .

هى دعوة إلى « الإيمان » يدعو بها النبي الأمى الذى « يؤمن » بالله وكلماته ، كما دعا إليها الأنبياء جميعاً :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (٣) .

« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله » (٤) .



(١) النحل ٤٤ (٢) الأعراف ١٥٨ .
(٣) الأنبياء ٢٥ . (٤) المؤمنون ٢٣ .



« وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه » (١) .

« وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله » (٢) .

« وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله » (٣) .

« وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله » (٤) .

« ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين » (٥) .

وهكذا ترى الأنبياء كلهم دعاة إلى الله ، وترى الربانية هى صفتهم الأولى وغاية رسالاتهم جميعا : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب » (٦) وكل ما سوى ذلك من الشعائر والأحكام إنما هو ضمانات لازمة لصلة الناس بالله : تقوّم أساسها ، وترسم حدودها وترد العاديات عنها ، وتحفظ الحياة كلها محرابا واسعا : « إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت (٧) » .

ولعل من أجمع ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا مكان الإيمان بالله فى دعوته قوله : « إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم بعد ذلك على الله » .

بساطة وإشراق :

وبقدر أهمية معنى الإيمان فى دعوة الإسلام كان وضوحه وبساطته ، وإنك لن تجد فى كل ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته شيئاً مما امتلأت به كتب المسلمين من بعد من خلافات فلسفية جامدة حول معنى الإيمان : إذا تعدى بالباء أو لم يتعدّ ، وهل يزيد أو ينقص ، وما هو وما التصديق وما الإسلام ، وهل القرآن مخلوق أو غير مخلوق .. إلى غير ذلك من التكلف الذى يذهب صفاء النفس وبشاشة الإيمان . . . . لقد كان المسلم الأول يجلس بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم لحظات لا يسمع فيها إلا كلمات معدودات يخرج بعدها مؤمنا أروع ما يكون الإيمان . وكان يكفيه أن يتلى عليه مثل قول الله عز وجل : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » (٨) فتخشع جوارحه ويستشعر فى كلمة الغيب حقائق وراء حواسه ، وإلا لما كانت

---

(١) العنكبوت ١٦ . (٢) الأعراف ٦٥ .
(٣) الأعراف ٧٣ . (٤) الأعراف ٨٥ .
(٥) الذاريات ٥٠ . (٦) إبراهيم ٥٢ .
(٧) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ (٨) البقرة : ٢ ، ٣

غيبا ، ثم يصيخ سمعه إلى آيات الله يستقبل فيها حقائق الغيب العليا ليؤمن بها كما هى ، فالله حق والنبوة حق والملائكة حق والوحى حق والموت حق والبعث حق والحساب حق والجنة حق والنار حق . . . . وإيمانه بكل ذلك حقيقة يجد هواتفها فى أعماقه يتمثل صورتها السهلة المشرقة فى رسوله صلى الله عليه وسلم قائما يناجى ربه فى جوف الليل : « اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، والحمد لك أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت الله لا إله إلا أنت »

ثم إنك تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً يحرس هذا الإيمان السهل المشرق ويسد دونه منافذ الفتنة والضلال : روى الأصبهانى فى الترغيب والترهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله ؛ فانكم لن تقدروا قدره » .. هكذا مضى السلف فى إيمانهم بربهم ؛ شعارهم شعار نبيهم : « .. وما أنا من المتكلفين[1] » وهكذا ينبغى أن تورث دعوتهم و يسلك سبيلهم ، لا تزيد على كتاب الله وسنة رسوله ولا تنقص ، وما أجمل وأصدق كلمة الإمام مالك رضى الله عنه حين سئل عن قوله سبحانه : « ثم استوى على العرش » قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة » وما أسهل وأعذب جواب الرجل الصالح يحيى بن معاذ : سئل : « أخبرنى عن الله عز وجل ؟ » فقال : « الله واحد . فقيل له : كيف هو ؟ فقال : ملك قادر ، فقيل له أين هو ؟ فقال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته سبحانه فكما أخبرتك »

دليلان :

والدعوة إلى الإيمان تعتمد على دليلين اعتمد عليهما كل نبي ورسول : الفطرة ، والنظر فى الكون ؛ وهما برهانان مركوزان فى الإنسان وفى كل ما خلق الله لا ينقطعان أبداً ..

أما دليل الفطرة : فهو السر الكريم الذى فطر عليه الإنسان ، هو قبس النور فيه ، وحقيقة كرامته التى سجدت لها الملائكة « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين[2] » هو صلة النسب بينه وبين الله عز وجل « إن فى ذلك لذكرى لمن كان

(١) ص : ٨٦ (٢) ص : ٧٢

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[١] » .. وذلك نسب غير النسب الآخر الذى يشده إلى الأرض : « وبدأ خلق الإنسان من طين » .. وللطين لغة وللروح لغة .. لغة الطين من عالمه وإن اختلفت حروفها ، ولغة الروح من عالمها الخفى القاهر .. إذا جاعت المعدة لم تقنعها لغة الروح .. وإذا احتاجت الروح لم تغن معها زخارف الطين ، وإنما جاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليكلموا الناس بأرواح شفافة موصولة بالله ، يقول أحدهم الكلمة فيجد لها الناس طعما آخر ، ويتلو الآية فيحس الناس فيها خفق أجنحة الملائكة ، ونورا ينسكب من السماوات ، ويروح ويغدو فيرى قومُه فيه سرا يباشر حبات قلوبهم ، وحقيقة قائمة ماثلة كالشمس والقمر لا تنالها أيديهم وهى فى كل دار من دورهم ، ولا ينالون منها مثقال ذرة وهى على مرأى منهم ومسمع ، وتأخذ منهم وتبدل من أحوالهم وهم حيارى يصخبون ويضجون ، ويجحد الجاحد منهم وفى أعماقه برهان الحق يمسك بتلابيبه « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا »

دليل الفطرة فى هذه الأعماق هو النافذة التى يطل منها الإنسان على الحقائق العليا وهو مطلع السبيل السواء إلى الله عز وجل : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم[٢] » . فإذا سدت هذه النافذة وغاب شعاع الروح لم تعد تجدى أساليب الدعاة جميعاً لتأخذ الإنسان إلى الله خطوة واحدة « إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا[٣] »

وإذا كان دليل الفطرة فى القلب هو أقوى أدلة الإيمان بالله وأولها ، فمعنى ذلك أن أول ما يحتاجه الداعى إلى الله « قلبٌ » يجعل فى أقواله وأفعاله حقائق حيّة من إيمانه وصدق صلته بالله ، ولغة علوية يخاطب بها قلوب الناس .

الدليل الثانى : هو مظاهر قدرة الله فى كل ما خلق ؛ فإنك حيثما نظرت فى نفسك أو فى الكون الواسع الذى يحيط بك وجدت نظاما عجيبا فى كل شىء ، وانسجاما رائعا بين أجزاء الكون ، وشعرت برهبة الإله القاهر الذى يمسك بأزمة هذه العوالم جميعا « الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير[٤] » .

وفى القرآن دعوة متكررة إلى التأمل فى الكائنات : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض[٥] » يستثير بها الفطر الراكدة « أم خلقوا من غير شىء أم هم

(١) ق : ٣٧
(٢) الروم : ٣٠
(٣) الكهف : ٥٧
(٤) الملك : ٣ ، ٤
(٥) يونس : ١٠١

الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون[1] » ، ويطارد بها غرور الإنسان وغفلته عن جبروت الله وقهره : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ؟[2] » ويجعل الكون كله كتابا مفتوحا للقلب الحى .

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطرها ألا كل شىء ماخلا الله باطل

بل إن معلم الإيمان الأول صلى الله عليه وسلم ليتهدد بالويل كل غافل عن آيات الله فى خلقه : جاء بلال مرة يؤذنه بصلاة الصبح فرآه يبكى فسأله عن سبب بكائه فقال : « ويحك يا بلال ! وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . . .) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » [3] وإنك لتهزك شفافية قلبه المبارك حين تراه يكرم باكورة من العنب قطفت وقدمت إليه ثم تسمعه يقول : « إنه قريب العهد بربنا » .

هذه الحساسية العالية فى صلة القلب المؤمن بآيات الله من حوله معنى يجب أن يحرص عليه المؤمن فى نفسه ، وحرى به أن يكون كذلك مادام يناجى ربه فى كل ركعة من صلاته « الحمد لله رب العالمين » ؛ كما يجب أن يحرص الدعاة إلى الله على تذكير الناس به وعلى تربيته فى أنفسهم ، وحذار أن يظنوا أنهم يستطيعون أن يأخذوا الناس إلى ربهم بغير ما أخذهم الله به : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . وجميل أن يستعينوا فى ذلك ببعض ما اكتشفه العلم الحديث من الدقائق المدهشة فى حياة النبات والحيوان ، ومن الروعة المذهلة للكون الرهيب الذى نعيش فيه حتى لتبدو الأرض وسطه — كما قال الدكتور مشرفة باشا رحمه الله — ذرة فى صحراء واسعة . ولا بأس أن يستعينوا كذلك بأقوال العلماء الكونيين الذين هداهم البحث إلى الإقرار بعظمة الخالق من أمثال ديكارت وإسحاق نيوتن وهرشل وهربرت سبنسر ؛ فلعل فى هذا علاجا لمركب النقص فى بعض الأنفس الضعيفة ، على ألا يعدو الدور الذى تؤديه الاستعانة بكل ذلك دور العصا مع السائر فى الظلام يحملها بإحدى يديه يدفع بها وحشة الليل . . أما اليد الأخرى فتحمل المصباح ، تحمل النور الذى لا يبدد الظلام سواه « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » ؟

(يتبع)

---

(١) الطور ٣٥ ، ٣٦ (٢) القصص ٧١ ، ٧٢

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « التفكر »

التشريع الجنائى الإسلامى

للأستاذ عبد القادر عوده

(٧)

فى الأدلة على الزنا

١ — الأدلة على حد الزنا : لا تثبت جريمة الزنا المعاقب عليها بالحد إلا بأدلة خاصة هى :

(١) الشهادة . (٢) الإقرار . (٣) القرائن .
وسنتكلم عن هذه الأدلة واحداً بعد الآخر .

أولا : الشهادة

٢ — عدد شهود الزنا : من المتفق عليه أن الزنا لا يثبت إلا بشهادة أربعة شهود . وهذا إجماع لا خلاف فيه بين أهل العلم لقوله تعالى : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » وقوله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة » وقوله : « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » .

ولقد جاءت السنة مؤكدة لنصوص القرآن ، من ذلك : أن سعد بن عبادة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيت لو وجدت مع امرأتى رجلا أمهله حتى آتى بأربعة شهداء ؟ » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « نعم » . وروى عن رسول الله أنه قال لهلال بن أمية لما قذف شريك بن سحماء بامرأته : « أربعة شهود وإلا حد فى ظهرك » .

وليس لكل إنسان أن يشهد فتقبل شهادته ؛ وإنما الشاهد الذى تقبل شهادته هو من توفرت فيه شروط معينة ، بعضها عام يجب توفره فى كل شهادة ، وبعضها خاص يجب توفره فى الشهادة على الزنا .

٣ — الشروط العامة للشهادة : والشروط العامة التى يجب أن تتوفر فى كل شهادة هى :

١ — البلوغ : يشترط فى الشاهد أن يكون بالغاً ، فإذا لم يكن كذلك فلا تقبل

شهادته ، ولو كان فى حالة تمكنه من أن يعى الشهادة ويؤديها ، ولو كان حاله حال أهل العدالة وذلك لقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » والصبى ليس من الرجال وليس ممن ترضى شهادته ، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » ولأن الصبى لا يؤتمن على حفظ أمواله ؛ فأولى أن لا يؤتمن على حفظ حقوق غيره . وإذا كانت شهادة الصبى لا تقبل فى الأموال ؛ فلأن لا تقبل فى الجرائم أولى ، وفيها عقوبة متلفة للنفس أو للعضو(1) .

وإذا كانت القاعدة العامة فى الشريعة أن لا تقبل شهادة من هو دون البلوغ ، فإن مالكا يرى — استثناء من هذه القاعدة — قبول شهادة الصبيان بعضهم على بعض فى الدماء بشروط خاصة أهمها : أن يكون الشاهد مميزاً : أى ممن يعقل الشهادة ، وأن لا يحضر الحادث كبير . وقد أجاز مالك شهادة الصبيان فى هذه الحالة للضرورة(2) . وهذا الرأى رواية عن أحمد ؛ حيث يرى قبول شهادة الصبيان فى الجراح إذا شهدوا قبل الافتراق عن الحالة التى تجارحوا عليها ، لأن الظاهر صدقهم وضبطهم ؛ فإن تفرقوا لم تقبل شهادتهم لاحتمال أن يلقنوا . وروى عن أحمد رواية ثالثة : تتلخص فى أن شهادة الصبى تقبل إن كان ابن عشر . ولكن البعض يخصص هذه الرواية بغير الحدود والقصاص(3) . وفى مذهب الزيدية رأى مرجوح ، يرى أصحابه جواز شهادة الصبيان بعضهم على بعض ، فى الشجاج مالم يتفرقوا . ويتأول بعضهم هذا الرأى فيقول : إن الشهادة تقبل للتأديب لا للحكم(4) .

٢ — العقل : يشترط فى الشاهد أن يكون عاقلا . والعاقل من عرف الواجب عقلا : الضرورى وغيره ، والممكن والممتنع ، ومايضره وما ينفعه غالباً ؛ فلا تقبل شهادة مجنون ولا معتوه ، ولكن تقبل الشهادة ممن يجن أحيانا فى حالة إفاقته إذا كان يفيق إفاقة يعقل معها الشهادة ، ولا تقبل شهادة المجنون لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » . كما أن شهادة المجنون لا تقبل ، للمعنى المانع من قبول شهادة الصبى(5) .

---

(1) مواهب الجليل سادس ص ١٥٠ — شرح فتح القدير رابع ص ١٦٩ ، وحاشية ابن عابدين رابع ٥١٣ ، ٥٢٥ — المهذب ثان ص ٣٤٢ — الإقناع رابع ص ٤٣٦ — المحلى تاسع ٤٢٠ — شرح الأزهار رابع ص ١٩٢ ، ١٩٣

(2) مواهب الجليل سادس ١٧٧

(3) المغنى ثانى عشر ص ٢٧

(4) شرح الأزهار رابع ص ١٩٣

(5) مواهب الجليل سادس ص ١٥٠ — المهذب ثان ٣٤٢ — أسنى المطالب رابع ص ٣٣٩ — الإقناع رابع ص ٤٣٦ — شرح فتح القدير رابع ص ١٦٩ — البحر الرائق سابع ص ٨٠ — المحلى تاسع ص ٤٢٩

٣ — الحفظ : ويشترط فى الشاهد أن يكون قادراً على حفظ الشهادة ، وفهم ما وقع بصره عليه ، مأمونا على ما يقول ؛ فإن كان مغفلا لم تقبل شهادته . ويلحق بالغفلة كثرة الغلط والنسيان ، ولكن تقبل الشهادة ممن يقل منه الغلط ؛ لأن أحداً لا ينفك من الغلط .

والعلة فى عدم قبول شهادة المغفل — ولو كان عدلا — أنه لا يؤمن على ما يقول ، ولا تمنع عدالته من أن يغتفل فيشهد على الرجل مثلا ولا يعرفه ، يتسمى له بغير اسمه ، كما أنه يخشى عليه أن يلقن فيأخذ بما ألقى إليه . لكن إذا لم يكن فى الشهادة ما يدعو إلى التلبيس تقبل شهادة المغفل ، نحو قوله : رأيت هذا الشخص قتل هذا الشخص ، أو رأيت فلاناً يطأ فلانة [١] .

على أن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة يؤثر عنه أنه كان يجيز شهادة المغفل ، ولا يجيز تعديله ؛ لأن التعديل يحتاج إلى الرأى والتدبير ، والمغفل لا يستقصى فى ذلك . بينما كان محمد يرد شهادة الصوام القوام المغفل ويقول : إنه شر من الفاسق فى الشهادة [٢] .

والزيديون يردون شهادة من غلب عليه السهو والنسيان ؛ فإن تساوى ضبطه ونسيانه فالأكثرون لا يصححون شهادته ، والأقلون يجعلونها موضع اجتهاد [٣] .

٤ — الكلام : يشترط فى الشاهد أن يكون قادراً على الكلام ؛ فإن كان أخرس فقد اختلف فى قبول شهادته : ففى مذهب مالك يقبلون شهادة الأخرس إذا عرفت إشارته ، وفى مذهب أحمد لا يقبلون شهادة الأخرس ولو فهمت إشارته ، إلا إذا كان يستطيع الكتابة فأدى الشهادة بخطه ، وفى مذهب أبى حنيفة لا يقبلون شهادة الأخرس سواء كانت بالإشارة أو الكتابة ، وفى مذهب الشافعى خلاف على قبول شهادة الأخرس ؛ فمنهم من قال تقبل لأن إشارته كعبارة الناطق فى نكاحه وطلاقه ، فكذلك فى الشهادة ، ومنهم من قال لا تقبل لأن إشارته أقيمت مقام العبارة فى موضع الضرورة ، وقد قبلت فى النكاح والطلاق للضرورة لأنهما لا يستفادان إلا من جهته ، ولا ضرورة تدعو لقبول إشارته فى الشهادة لأنها تصح من غيره بالنطق ، ومن ثم لا تجوز بإشارته ، وفى مذهب الزيدية رأيان : أحدهما أن شهادة الأخرس لا تصح إطلاقاً ، والثانى أنها تصح [٤] .

---

(١) مواهب الجليل سادس ص ١٥٤ — المهذب ثان ص ٣٤٢ — أسنى المطالب رابع ص ٣٥٣ — الإقناع رابع ص ٤٣٧

(٢) البحر الرائق سابع ص ٨٥ . (٣) شرح الأزهار ص ١٩٧ .

(٤) مواهب الجليل سادس ص ١٥٤ — الإقناع رابع ص ٤٣٦ — البحر الرائق سابع ص ٨٠ المهذب ثان ص ٣٤٢ — شرح الأزهار رابع ٩٢١

٥ – الرؤية : ويشترط فى الشاهد أن يرى ما يشهد به ، فإن كان الشاهد أعمى فقد اختلف فى قبول شهادته ؛ فالحنفيون لا يقبلون شهادة الأعمى ؛ لأن أداء الشهادة يحتاج إلى أن يشير الشاهد إلى المشهود له والمشهود عليه ، ولأن الأعمى لا يميز إلا بالنغمة وفى تمييزه شبهة ، وهم لا يقبلون شهادة من كان أعمى وقت أداء الشهادة ولو كان بصيراً وقت تحمل الشهادة ، بل إنهم يردون شهادة البصير الذى عمى بعد أداء الشهادة وقبل القضاء لأنهم يشترطون الأهلية فى الشاهد وقت القضاء لتكون شهادته حجة .

وهم لا يقبلون شهادة الأعمى سواء فيما كان طريقه الرؤية ، وما كان طريقه السماع والشهرة والتسامع . ولكن أبا يوسف يجيز شهادة الأعمى فيما طريقه السماع مطلقاً ، ويجيزها فيما طريقه الرؤية إذا كان بصيراً وقت التحمل أعمى عند الأداء إذا كان يعرف الخصوم بأسمائهم وأنسابهم ، ويرى زفر أن شهادة الأعمى تجوز فقط فى غير الحدود والقصاص فيما يجرى فيه التسامع كالنسب والموت وهذا القول رواية عن أبى حنيفة (١)

ويقبل المالكيون شهادة الأعمى فى الأقوال ولو كان قد تحملها بعد العمى مادام فطنا لا تشتبه عليه الأصوات ويتيقن المشهود له وعليه ؛ فإن شك فى شىء من ذلك لم تجز شهادته . أما شهادة الأعمى فى المرئيات فلا تقبل إلا أن يكون قد تحملها بصيرا ثم عمى ، وهو يتيقن عين المشهود له أو يعرفه باسمه ونسبه (٢)

ويجيز الشافعيون شهادة الأعمى فيما يثبت بالاستفاضة كالنسب والموت لأن طريق العلم به السماع ، والأعمى كالبصير فى السماع ، ولا يجيزون أن يكون شاهدا فى الأفعال كالقتل والغصب لأن طريق العلم بها البصر ، ولا شاهدا فى الأقوال كالبيع والإقرار والنكاح والطلاق إذا كان المشهود عليه خارجا عن يده لأن شهادته ستقوم على العلم بالصوت وحده والصوت يشبه الصوت ، فأما إذا كان المشهود عليه فى يده كرجل أقرّ ويد الأعمى على رأسه فشهد وهو فى يده لم يفارقه فتقبل الشهادة لأنها عن علم ويقين . وإذا تحمل الشهادة وهو بصير قبلت شهادته إذا كان الخصوم معروفين له بالاسم والنسب ، أو إذا كان المشهود عليه فى يده لم يفارقه بعد العمى . ويرى بعض فقهاء المذهب قبول شهادة الأعمى مطلقا فى الأقوال إذا عرف الصوت (٣) .

---

(١) البحر الرائق وحاشية منحة الخالق سابع ص ٨٤ ، ٨٥ — طرق الإثبات الشرعية ص ١٠٩ ، ١١٠

(٢) مواهب الجليل سادس ١٥٤

(٣) المهذب ثان ص ٣٥٢ — أسنى المطالب رابع ص ٣٦١

وفى مذهب أحمد يجيزون شهادة الأعمى كلما تيقن الصوت : أى أنهم يجيزون شهادته فى الأقوال مطلقا . أما فى الأفعال فيجيزون شهادته فى كل ما تحمله قبل العمى إذا عرف المشهود عليه باسمه ونسبه (١) .

ومذهب الزيديين لا يكاد يختلف عن مذهب الشافعى ؛ فالقاعدة عندهم أن شهادة الأعمى لا تصح فيما يفتقر إلى الرؤية عند الأداء ، فإذا شهد بما يحتاج إلى المعاينة عند أداء الشهادة لا تقبل شهادته إلا أن يكون المشهود عليه فى يده من قبل ذهاب بصره كثوب متنازع عليه ، فإذا لم تكن المعاينة لازمة عند الأداء قبلت شهادة الأعمى فيما يثبت بطريق الاستفاضة كالنسب والنكاح ، فإن كان مما لا يثبت بطريق الاستفاضة قبلت شهادته فقط فيما تحمله قبل ذهاب بصره لأن الشهادة على الصوت وحده لا تصح . على أن البعض يرى قبول الشهادة كلما عرف الأعمى الصوت على وجه اليقين (٢) .

أما الظاهريون فيقبلون شهادة الأعمى مطلقا فى الأقوال والأفعال وفيما تحمله قبل العمى وفيما تحمله بعده ، ويردون على من يقولون إن الأصوات تشتبه بأن الصور أيضاً تشتبه ، وما يجوز لمبصر أو أعمى أن يشهد إلا بما يوقن ولا يشك فيه ، وإن الأعمى لو لم يقطع بصحة اليقين على من يكلمه لما حل له أن يطأ امرأته إذ لعلها أجنبية ، ولا يعطى أحداً ديناً عليه إذ لعله غيره ، ولا أن يبيع من أحد ولا أن يشترى . وإن الله جل شأنه أمر بقبول البيّنة ولم يشترط أعمى من مبصر وما كان ربك نسيا (٣) .

٦ — العدالة : ولا خلاف فى اشتراط العدالة فى سائر الشهادات ، فيجب أن يكون الشاهد عدلا لقوله تعالى : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » ولقوله « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » فأمر جل شأنه بقبول شهادة العدل وبالتوقف فى نبأ الفاسق . والشهادة نبأ . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ، ولا محدود فى الإسلام ، ولا ذى غمز مع أخيه » رواه أبو عبيد ، وكان يفسر الخيانة بحيث تشمل جميع ما افترض الله تعالى على العباد القيام به أو اجتنابه من صغير ذلك وكبيره ، ولا يخصصها بأمانات الناس . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » .

والعدالة كما يعرّفها المالكيون هى المحافظة الدينية على اجتناب الكبائر وتوقى

(١) المغنى ثانى عشر ص ٦١ ، ٦٢
(٢) شرح الأزهار رابع ص ١٩٩ ، ٢٠٠
(٣) المحلى تاسع ص ٤٣٣ ، ٤٣٤

الصغائر، وأداء الأمانة وحسن المعاملة. وليست العدالة أن يمحض الإنسان الطاعة حتى لا يشوبها معصية إذ ذلك متعذر لا يقدر عليه إلا الأولياء والصديقون، لكن من كانت الطاعة أكثر حاله وأغلبها عليه، وهو مجتنب للكبائر محافظ على ترك الصغائر فهو العدل [١].

ويعرّف الحنفيون العدالة بأنها الاستقامة على أمر الإسلام، واعتدال العقل ومعارضة الهوى، وليس لكمالها حد يدرك، فيكتفى لقبولها بأدنى حدودها وهو رجحان جهة الدين والعقل على الهوى والشهوة. وعندهم أن العدل هو من لم يطعن عليه فى بطن ولا فرج، وهو من يكون مجتنبا للكبائر غير مصر على الصغائر، ومن يكون صلاحه أكثر من فساده، وصوابه أكثر من خطئه، ومن تكون مروءته ظاهرة [٢].

ويعرف الشافعيون العدالة بأنها اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر؛ فمن تجنب الكبائر والصغائر فهو عدل، ومن تجنب الكبائر وارتكب الصغائر، وكان ذلك نادراً من أفعاله لم يفسق ولم ترد شهادته لأنه لا يوجد من يمحض الطاعة ولا يخلطها بمعصية، وإن كان ذلك غالبا فى أفعاله فسق وردت شهادته لأن من استجاز الإكثار من الصغائر استجاز أن يشهد بالزور؛ فالحكم معلق على الغالب من أفعاله [٣].

ويعرف الحنابلة العدالة بأنها استواء أحوال الشخص فى دينه واعتدال أقواله وأفعاله [٤]. ويعتبر لها شيئان: أولهما: الصلاح فى الدين، وهو أداء الفرائض بسننها الراتبة؛ فلا تقبل الشهادة ممن داوم على تركها لفسقه، واجتناب المحرم فلا يرتكب كبيرة ولا يدمن على صغيرة — وثانيهما: استعمال المروءة وهو ما يجمله ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه عادة.

ويلاحظ أن فقهاء المذاهب السابقة يلحقون بشرط العدالة المروءة لأن ترك المروءة يدل على عدم المحافظة الدينية وهى لازم العدالة.

والمروءة عند المالكيين هى المحافظة على فعل ما تركه مباح يوجب الذم عرفا كترك الملى الانتعال فى بلد يستقبح فيه مشى مثله حافياً، وعلى ترك ما فعله مباح يوجب ذمه عرفاً كالأكل فى السوق وفى حانوت الطباخ لغير الغريب. ولا يراد بالمروءة نظافة الثوب وفراهة المركوب وجودة الآلة وحسن الشارة، بل المراد التصون والسمت

---

(١) مواهب الجليل سادس ص ١٥٠

(٢) البحر الرائق سابع ص ١٠٤ — حاشية ابن عابدين رابع ص ٥٢٢

(٣) المهذب ثان ص ٣٤٣ — أسنى المطالب رابع ص ٣٣٩، ٣٤٠

(٤) الإقناع رابع ص ٤٣٧، ٤٣٨ — المغنى ثانى عشر ص ٣٢ وما بعدها.

الحسن ، وحفظ اللسان وتجنب المجون والسخف ، والارتفاع عن كل خلق رديء يرى أن من تخلق به لايحافظ معه على دينه وإن لم يكن فى نفسه حرمة [١] .

والمروءة عند الحنفيين أن لايأتى الإنسان بما يعتذر منه مما يبخسه عن مرتبته عند أهل الفضل ، وقيل السمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب السخف والمجون والارتفاع عن كل خلق دنىء . والمروءة عند محمد هى الدين والصلاح . [٢]

والمروءة عند الشافعيين هى الإنسانية وهى مشتقة من المرء ، وعندهم أن من ترك الإنسانية لم يؤمن أن يشهد بالزور ؛ لأن من لايستحى من الناس فى ترك المروءة لم يبال بما يصنع . ويستدلون على ذلك بما روى أبومسعود البدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ماشئت » .

والمروءة عند الحنابلة هى تمسك الإنسان بما يجمله ويزينه ، وترك مايشينه ، أو هى اجتناب الأمور الدنيئة المزرية بالإنسان من فعل أو قول أو عمل[٤] .

والعدل فى المذهب الزيدى هو من كان متنزها عن محظورات دينه ؛ فالعدالة إذن عندهم هى التنزه عن المحظورات الدينية[٥] ، ويعرفها بعضهم بأنها ملازمة التقوى والمروءة.

والعدل عند الظاهريين من لم تعرف له كبيرة ولا مجاهرة بصغيرة . والكبيرة هى ماسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرة ، أو ماجاء فيه الوعيد ، والصغيرة مالم يأت فيه وعيد . وهم لايشترطون المروءة لتحقق العدالة ، ويرون الاكتفاء بالطاعة واجتناب المعصية لأنه إذا كانت المروءة من الطاعة فهى نغنى عنها ، وإن لم تكن من الطاعة فلا يجوز اشتراطها فى أمور الديانة إذ لم يأت بذلك قرآن ولا سنة[٦] .

٧ — الإسلام : ويشترط فى الشاهد أن يكون مسلما فلا تقبل شهادة غير المسلم سواء كانت الشهادة على مسلم أو غير مسلم . وهذا هو الأصل الذى يسلم به جميع الفقهاء ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وأقيموا الشهادة لله » وقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وقوله : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

---

(١) مواهب الجليل سادس ص ١٥٢

(٢) البحر الرائق سابع ص ١٠٠

(٣) المهذب ثان ص ٣٤٣

(٤) المغنى ثانى عشر ص ٣٣ ، ٣٤ — الإقناع رابع ص ٤٣٧

(٥) شرح الأزهار رابع ص ١٩٤ — البحر الزخار خامس ص ٥٠ (الجامع لمذاهب علماء الأمصار تأليف أحمد ابن يحيي المرتضى)

(٦) المحلى تاسع ٣٩٣ ، ٣٩٥

فى الفقه الإسلامى

النية واللفظ فى العقود

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

العقد هو الارتباط بين إرادتى المتعاقدين بحيث ينتج عنه التزام أو نقله . والإرادة أمر باطنى فلا يمكن أن يدور الحكم عليها فى إنشاء الالتزامات ، بل الحكم يكون لمظهر هذه الإرادة من قول أو فعل أو إشارة تعبر عنها .

من أجل ذلك ، كما يقول ابن تيمية ؛ إذا نوى رجل طلاق زوجته لم يقع بمجرد النية طلاق بالاتفاق[1] . ومن باع داره لآخر وفى نيته أنه غير ضامن لما قد يكون عليها من حقوق عينية ، لا تعتبر هذه النية إن لم يصرح بها حين العقد .. إلى غير هذا وذاك من الأمثلة الكثيرة الأخرى .

وإذا كان الحكم فى العقد يتبع كلام المتعاقدين الذى به نشأ العقد ، فما هذا إلا لأنه الترجمان الصادق لإرادة كل منهما ، ولكن قد لا يكون الأمر هكذا فى كل حال ، كما يتضح هذا مما يأتى :

(ا) قد يريد الإنسان أمراً ، وتأتى عبارته موافقة له معبرة تماما عما أراد التزامه مع قصده له .

(ب) قد تفيد عبارته الالتزام ، ولكن من صدرت عنه العبارة لا يفهم أنها تدل عليه فهو لا يقصده .

(ح) قد يفهم أنها تفيد الالتزام ؛ ولكن صدرت عنه خطأ ، أو هزلا ، أو عن غير وعى لها .

(د) وقد يحدث أن العبارة التى تلفظ بها تفيد الالتزام ، وصدرت عنه قصدا ، ولكنه لا يريد بها إنشاء أى عقد أو التزام .

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، تأليف بدرالدين الحنبلى البعلى المتوفى عام ٧٧٢ ﻫ ، ص ٥٤٧ .

(هـ) قد تصدر عنه العبارة المفيدة للالتزام وإنشاء العقد وهو يفهم ذلك ، لكنه أكره عليها .

(و) وقد يستعمل العقد تعبيرا يدل بوضعه على إنشاء عقد خاص ، ولكنه يريد به عقداً آخر .

(ز) وربما يجعل أحد العاقدين العقد وسيلة لغرض غير مباح شرعا .

تلك هي الفروض أو الحالات التي يمكن أن تصدر فيها العبارات الدالة على إنشاء عقد من العقود أو التزام من الالتزامات ، فما حكم كل حالة منها ؟ أو ما هو أثر العبارة في كل من هذه الحالات بالنسبة لانعقاد العقد وترتب آثاره عليه ؟

***

(ا) في هذه الحالة الأولى ينعقد العقد ، ما دامت العبارة التي صدرت من كل من طرفيه معبرة تماما عن إرادته في إنشاء العقد وترتب آثاره عليه . وهذه هي الحالة التي نراها في أغلب مانمارسه من عقود في النواحي المختلفة من المعاملات ؛ فالعادة أن يسبق إبرام العقد من هذه العقود معرفة كل من الطرفين بما يريد وتعبيره بإيجابه أو قبوله عما يقصده .

(ب) وفي الحالة الثانية ، حالة عدم فهم من تلفظ بالإيجاب أو القبول أن عبارته تفيد الالتزام ، نرى أن المنطق الصحيح يقضي بعدم اعتبار ما تلفظ به إيجاباً أو قبولا ، لأنه لا يعبر طبعاً عن إرادة قائله وقصده ما دام لا يفهم معنى هذا الذي جرى به لسانه .

إلاأن لبعض العقود طبيعة خاصة تناسب مالها من خطر ، فهي لهذا تنعقد — في رأي بعض الفقهاء — ممن يردد الألفاظ التي تفيد انعقادها ولو لم يفهم لها معنى ، وهذا رأي لا نوافق عليه لما لهذه العقود من خطر يوجب أن يفهم كل طرف فيها ما هو مُقْدم عليه ! أما غير هذه العقود فلا تنعقد بترديد ألفاظ وعبارات لا يفهم معناها من تصدر عنه ، ولا يترتب على أي عقد منها أي أثر شرعي .

جاء في فتح القدير[1] : « لو لُقِّنَتْ المرأة (زوجت نفسي) بالعربية ولا تفهم معناها ، وقبل الزوج ، والشهود يعلمون ذلك أولا يعلمون ، صح كالطلاق ، وقيل لا كالبيع ، كذا في الخلاصة ، ومثل هذا في جانب الرجل إذا لُقِّنَه ولا يعلم معناه ، وهذه في جملة مسائل : الطلاق والعتاق والتدبير والنكاح والخلع ... لأن العلم بمضمون

---

(١) جـ ٢ : ص ٣٤٩ من طبعة مصطفى محمد بالقاهرة .

اللفظ إنما يعتبر لأجل القصد ، فلايشترط فيما يستوى فيه الجد والهزل ، بخلاف البيع .. وكذا المديون إذا لُقِّنَ رب الدين لفظ الإبراء ، لا يبرأ » .

وذكر هذا علاء الدين الحصكفي المتوفى عام ١٠٨٨ هـ ، صاحب الدر المختار ، في كتاب النكاح أيضاً إذ يقول(١) : « ولايشترط العلم بمعنى الإيجاب والقبول فيما يستوى فيه الجد والهزل ، إذ لم يحتج لنية ، به يفتى » .

(ج) هذه الحالة الثالثة ، وهي حالة النائم والمجنون والصبي غير المميز وأمثالهم ، يكون كل من الإيجاب والقبول عبارات مهملة لا أثر لها مطلقا في إنشاء أي عقد أو التزام ، وذلك لانعدام أساس الالتزامات وهو إرادة الالتزام والقصد إلى إنشائه .

وحالة السكران كذلك ، ولكن جمهرة الفقهاء رأوا مؤاخذته بعبارته التي تصدر عنه عقابا وزجرا له ، ورتبوا عليها الآثار التي تلزمها ؛ سواء في هذا عقود البيع أو غيرها من العقود بالمعنى العام التي تكون من طرف واحد ، أو بالمعنى الخاص وهي العقود التي تكون من طرفين .

من هؤلاء الفقهاء أبو جعفر الطحاوي الحنفي المتوفى عام ٣٢١ هـ ، إذ يقول في مختصره(٢) : « وطلاق المجنون كذلك (أي باطل) ، وطلاق السكران جائز عليه » . ثم يقول : « وطلاق السكران وعتاقه وأفعاله كلها وأقواله ، كأفعال الصحيح وأقوال الصحيح ، إلا الردة فإن زوجته لاتبين منه بهذا » .

وبجانب هؤلاء الفقهاء ، نرى قلة من الفقهاء المالكية وغيرهم يجعلون السكران كالمجنون(٣) ؛ فلم يرتبوا أي أثر على مايصدر عنه من أقوال ، ومن ثم لاينشأ عنها أي عقد أو التزام . وبهذا الرأي أخذت لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ؛ إذ جاء في المادة الأولى من المرسوم رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ : « لايقع طلاق السكران والمكره » .

ولعل هذا الرأي أدنى للعدل وضمان حسن المعاملات بين الناس ، وبخاصة وللسكر جزاؤه الأخروي والدنيوي أيضاً — إن أقمنا شريعة الله وحدوده — فلا معنى لتحميل من يقترف هذا الإثم جزاء آخر تضطرب به العقود والمعاملات .

---

(١) جـ٢ : ٢٧٤ — ٢٧٥ . وقد نقل ابن عابدين في هذا الموضع كلام صاحب « فتح القدير » موافقا له .

(٢) ص ١٩١ من طبعة القاهرة عام ١٣٧٠ هـ .

(٣) مواهب الجليل للحطاب ، جـ ٤ : ٢٤١ — ٢٤٢ .

وقد ألحق الشافعية بهؤلاء الذين لايدركون مايقولون ، من تلفظ بتعبير خطأ بدل تعبير آخر كان يريد التلفظ به فسبق لسانه للأول . هذا المخطىء لايترتب على خطئه اللساني أي أثر ، فلا ينشأ عنه عقد أو التزام عند الفقهاء الشافعية . لكن الأحناف لا يرون هذا الرأى ؛ لأن الإرادة أمر باطنى لانعرفها إلا بما يصدر عن صاحبها دالا عليها ، فإن قبلنا دعوى من يدعى أنه أخطأ فى التعبير ، كان هذا عوناً منا على إضاعة حقوق الطرف الآخر فى العقد . ومثل هذا الخلاف بين الشافعية والأحناف فى حالة المخطىء ، يجرى أيضاً فى حالة الناسى والغافل عن معنى ماصدر عنه من قول وتعبير ؛ فقد رتب الأحناف على هذه الأقوال آثارها الشرعية ، وأهملها الشافعية فلم يقيموا لها أى وزن أو تقدير(١) .

بقى من أمثال الحالة التى نحن بصددها ، حالة الهازل الذى يدرك مايقول إلا أنه لايعنيه ولا يرتب عليه أى أثر .

وهنا نجد الشافعية قد عنوا بالناحية الظاهرة دون النية التى لايعلمها إلا الله ، وذلك حتى لاتضطرب العقود والمعاملات التى تجرى بين الناس ؛ ولهذا لايقيمون وزنا لقول أحد طرفى العقد بأنه كان هازلا لايعنى ماتدل عليه عبارته من إنشاء العقد والالتزام .

أما الأحناف والمالكية والحنابلة فيفرقون بين حالة الجد وحالة الهزل ؛ ففى الأول يكون للتعبير أثره مادام يقصد صاحبه منه الدلالة على إرادته الباطنة ، وفى الثانية لايرتبون أى أثر على إيجاب الهازل أو قبوله متى قام الدليل على أنه هازل ، وذلك لانعدام أساس العقد حينئذ وهو القصد والإرادة لإنشائه .

وهذا المذهب سائد عند بعض المالكية فى جميع العقود ، من بيع وإجارة ورهن ونحو ذلك من حقوق العباد ، وكذلك فى العقود التى فيها حق الله مثل الزواج والطلاق والعتاق . بينما آخرون من المالكية ، وكذلك الأحناف والحنابلة ، لايرون هذا الرأى إلا فى العقود المالية وما فى حكمها مثل البيع ونحوه . أما فى الزواج والطلاق والرجعة والعتق واليمين ، فقد استثنوها من القاعدة العامة ،وجعلوا الهزل فيها كالجد ؛ إذ لاينبغى الهزل فيما يتعلق بالله وحقوقه .

هذا ، وللهزل صور كثيرة ، منها :

١ — مايفعله البعض فى الزواج من الاتفاق سراً على مهر معين ، ثم يذكرون مهراً آخر يزيد عن الأول أمام الناس حين العقد .

---

(١) يراجع كتاب الأشباه والنظائر للسيوطى ، فى أحكام النسيان .

٢ — أن يخاف إنسان عدوان غاصب، فيتظاهر ببيع بعض ما يملك لآخر فراراً من الظلم، ويتم العقد أمام الناس دون قصد حقيقة لعقده، وهو ما يسمى ببيع التلجئة.

٣ — أن يتفق البائع والمشترى على زيادة الثمن زيادة صورية، إبعاداً للشفيع عن طلب الشفعة.

في هذه الصور وأمثالها، لا يكون لما صدر هزلا أية قيمة أو أثر إلا عند الشافعية الذين يعتمدون كما رأينا ظواهر الألفاظ والتعابير دون نظر للقصد الصحيح والنية الباطنة.

وإذاً فعقد الزواج الذى صدر علانية بمهر يزيد عن المتفق عليه سراً، لا يجب به إلا المهر المتفق عليه سرا[1]. أما عقد الزواج نفسه فقد وقع صحيحا بلا خلاف؛ لأنهما كانا في عقده جادّين لا هازلين، والذى نسميه هزلا كان في المهر وقدره فقط. على أن الهزل لو كان في نفس العقد لما أبطله؛ لأن الزواج لا يحتمل الهزل عند جميع الفقهاء إذا استثنينا بعض المالكية. وفي هذا يقول الكمال بن الهمام[2]: «وأما الهازل فريد لمعنى اللفظ غير مريد لحكمه، فلا يلتفت لقصده عدم الحكم». ثم جاء في الحديث: «ثلاث جدّهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» وفي رواية: والعتاق بدل الرجعة.



وبيع التلجئة ليس له من البيع إلا صورته، فلا قيمة له، وإن كان يُلجأ إليه في حالة الاضطرار. وفيه يقول صاحب الدر المختار علاء الدين الحصكفي: «وهو أن يظهر عقداً وهميا لا يريدانه، يُلجأ إليه لخوف عدو، وهو ليس ببيع في الحقيقة بل كالهزل[3]». والبيع «لا ينعقد بلفظ بعت هزلا[4]».

والزيادة في ثمن المبيع زيادة صورية، لمنع الشفيع، لا اعتبار له. بل الثمن الذى على الشفيع دفعه للمشترى إذا حُكم له بالشفعة هو الثمن الحقيقي المتفق عليه سراً، لا الصورى الذى عقد عليه العقد علانية، عند الأحناف وغيرهم من الحنابلة والمالكية؛ إذ هذه الزيادة تدخل في باب الحيلة والهزل، ولا اعتبار للهزل في عقود المعاوضات المالية حسب أصولهم.

---

(١) يراجع ابن عابدين، جـ ٢ : ٣٧٩

(٢) فتح القدير، جـ ٢ : ٣٤٨

(٣) انظر جـ ٤ : ٢٥٥ من ابن عابدين وكتاب الدر الذى بالهامش. وقارن ذلك بما ورد في كتاب المغنى لابن قدامة الحنبلى المتوفى عام ٦٢٠ هـ، جـ ٤ : ٢١٤

(٤) فتح القدير، جـ ٥ : ٧٦

ونحب أخيراً ، قبل أن ننتقل من الحالة الثالثة للرابعة التي بعدها ، أن نذكر أن هناك ضربا من الخطأ أو الغلط يجب التنبيه إليه وبيان حكمه إذا وقع في العقد ، هذا الخطأ ليس هو ماسبق الحديث عنه من سبق اللسان إلى عبارة لم يردها ، بل هو الخطأ في الحساب المترتب على العقد نفسه وإن كان كل من العاقدين يريد أصل العقد وإبرامه .

لقد جاء في كتاب « القُنْية » ما يأتي : « ساومه الحنطة كل قفيز بثمن معين وحاسبوا فبلغ ستمائة درهم ، فغلطوا وحاسبوا المشترى بخمسمائة وباعوها منه بالخمسمائة ، ثم ظهر أن فيها غلطاً لا يلزمه إلا خمسمائة . أفرز القصاب أربع شياه ، فقال بائعها هي بخمسة كل واحدة بدينار وربع ، فجاء القصاب بأربعة دنانير فقال : هل بعت بهذا القدر ؟ والبائع يعتقد أنها خمسة ، صح البيع . قال : وهذا إشارة إلى أنه لا يعتبر ما سبق ، أي أن كل واحدة بدينار وربع » .

هذا ما جاء بهذا الكتاب من كتب الأحناف ، ومعناه أن الخطأ في الحساب لا يستدرك وإن كان العقد يقع صحيحاً . لكن القانون المدني الجديد يقول بغير هذا ؛ إذ نصت المادة ١٢٣ منه على أنه « لا يؤثر في صحة العقد مجرد الغلط في الحساب ولا غلطات القلم ، ولكن يجب تصحيح العقد » .

ونعتقد بحق أن هذا هو الرأي الصحيح الذي يجب العمل به ؛ فالعدل يقضي بوجوب استدراك ما يقع من خطأ غير مقصود ، والله يقول : « ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . وطبعاً ما يكون من خطأ حسابي لا يرضاه من لم يكن في مصلحته ، كما يجب ألا يرضاه أيضاً من هو في صالحه ؟

(للبحث بقية)

ديمقراطية

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في الشام أبي عبيدة ، وبين أحد قواد الروم جاءه بطعام فاخر وقال له :

— هذا طعام الأمير .

قال أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟

قالوا : لم يتيسر .

فقال أبو عبيدة : فلا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام . وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جندا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه ، أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ، لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون .

مقترحات
للدستور الإسلامي في الباكستان

للأستاذ أبي الأعلى المودودي
أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

الفصل العاشر

السلطة التنفيذية

١ — الإمارة :

(المادة ٢٠)

تفوض مسئولية إدارة الدولة وتسيير شئونها إلى أمير منتخب يتمتع بجميع صلاحيات الحكم .

(المادة ٢١)

للأمير السمع والطاعة ما دام مطيعاً لقانون الله ورسوله ، ومتبعاً له .

(المادة ٢٢)

الأمير لا يكون فوق مستوى الجمهور ووراء انتقاداتهم ، بل :

١ — لكل واحد أن ينتقد عليه لا أموره الاجتماعية فحسب ، بل أموره الذاتية أيضاً .

٢ — لا تكون منزلته في نظر القانون إلا كمنزلة عامة سكان الدولة ، ويجوز أن ترفع عليه القضية إلى المحكمة في جميع شئونه — الشخصية منها والعامة — ولا يستحق معاملة ممتازة في المحكمة .

(المادة ٢٣)

يظل الأمير أميراً ما دام حائزاً لثقة الجمهور . وأما إذا فقد الثقة فيمكن عزله .

(المادة ٢٤)

على الأمير أن يسير دفة شئون الدولة بالمشاورة .

بيانها : والمشاورة في أمر الحكومة مما يفرضه القرآن على المسلمين فرضاً ، وقد نهاهم عن الاستبداد . فلا يكون للأمير حق في تعطيل مجلس شوراه إلى مدة غير معينة ؛ إلا أن له أن يحل مجلساً للشورى لأسباب خاصة ، ويأمر بانتخاب مجلس آخر .

٢ — مجلس الشورى :

(المادة ٢٥)

ويكون مجلس الشورى من الأعضاء المنتخبين لمساعدة الأمير في إدارة شئون الدولة.

(المادة ٢٦)

للأمير حرية تامة في تقرير الأحكام والقياس والاجتهاد والاستحسان حسب القواعد الشرعية .

(المادة ٢٧)

لا يسمح بأى نوع من التحزب في مجلس الشورى ؛ وإنما يكون كل عضو منفرداً بشخصه ، ويبدى رأيه حسب ما يراه من الحق والصواب .

(المادة ٢٨)

وتكون لأعضاء مجلس الشورى الحرية التامة في الاستجواب والانتقاد والاقتراح ، وإبداء الرأى .

(المادة ٢٩)

لا يجوز للأمير ولا لرجال إدارته أن يكتموا شيئاً عن مجلس الشورى .

(المادة ٣٠)

حق التصويت لكل من بلغ سن الرشد ممن يؤمنون بمبادىء الدولة في انتخاب الأمير وأعضاء مجلس الشورى .

(المادة ٣١)

لا يكون أهلا للامارة أو لعضوية مجلس الشورى رجل ترشح لها بنفسه أو سعى لها سعياً .

بيانها : لا مجال في الإسلام للترشح أو الدعاية الانتخابية أصلا ؛ فقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم « إنا والله لا نولى هذا الأمر أحداً سأله أو حرص عليه »[1].

(المادة ٣٢)

يكون انتخاب الأمير بمقتضى المبدأ الخالد الذى يتضمنه قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[2]

بيانها : ينتخب للإمارة رجل يكون حائزا لثقة أكثرية أهل البلاد من حيث التقوى والمعرفة بروح الإسلام والحزم .

(المادة ٣٣)

يطالب الجمهور عند كل انتخاب عام أن ينتخبوا لعضوية مجلس الشورى رجالا يحوزون ثقتهم من حيث التقوى والمعرفة بالدين ، والتبصر في أمور الدنيا .

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الحجرات : ٤٩

خاطرة :

الله لا المجتمع...

كان ذلك فى المركز العام للاخوان المسلمين ، وكنا جلوساً فى حفلة جميلة دعت إليها إحدى كليات جامعة فؤاد ... ودعيت للتحدث فتحدثت ؛ وكان مما عرضت له رأى أعجبنى لأستاذ من أساتذة الاقتصاد الحديث[1]، ذهب فيه إلى أن علماء الاقتصاد افترضوا وجود إنسان تصورى أسموه « الإنسان الاقتصادى » لا يعمل ولا يبذل أى نشاط اقتصادى إلا بباعث الأثرة وحب الذات ودافع المتعة ... ثم استبعدوا كل باعث آخر لا تحتمله الصورة المادية البحتة للانسان كما تصوروه .

أما علماء الإسلام فقد أدركوا إلى جانب هذه البواعث المادية فى الإنسان بواعث أخرى من حقيقته الروحية ، وقدروا الاثنين معاً ، وأقاموا نشاط الإنسان كله على عقيدة ثابتة : وهى أنه فى هذه الأرض ضيف على صاحبها سبحانه ؛ جاءها بأمره ، وسيرحل عنها بأمره ، ثم هو ماض بعد ذلك إلى ما قدم ... إما إلى الجنة خالداً فيها ، وإما إلى النار خالداً فيها . والإسلام بهذه العقيدة يجعل نشاط الإنسان محكوماً أبداً بأخلاقه العالية ... ولذلك كان الغزالى فى إحيائه يكتب عن الشوق والمعرفة ومراتب القلوب كما يكتب عن العمل وآداب كسب المعيشة ...

قلت هذا ، ثم قام مدرس فاضل بكلية التجارة فعلق على هذا الرأى برأى آخر ، وقال : إن ذلك كان طابع الاقتصاد القديم ، أما الاقتصاد الحديث فلم يعد مادياً هكذا ، وعلماء الاقتصاد الآن يهتمون اهتماماً كبيراً بفكرة التعاون على خير المجتمع العام ...

هذا الكلام الذى قاله المدرس الفاضل جميل ، ولكنه يحمل حقيقة كبيرة من حقائق الواقع المختلط الذى نعيش فيه ، فأنت ترى أن فكرة « خير المجتمع العام » فى هذا الكلام تساوى الحقيقة الروحية للانسان ... وذلك خطأ ضخم ؛ فالحقيقة الروحية تأخذ الإنسان من أعماقه لتدفعه فى طريق مشرق مرسوم إلى « الله » : الوجهة فيه إليه وحده ، وإشراقته من سره ، ورسمه من حدود تنزل بها وحى وكتاب . أما خير المجتمع العام فهو هدف تصوغه حاجات الناس وأهواؤهم ، ولا تعنيهم معه الأخلاق إلا بقدر ما تحقق استقرار المجتمع استقراراً يشبع هذه الحاجات والأهواء ... ألست ترى أن تعريف الآداب العامة فى القوانين الحديثة هو « ما يتعارف الناس عليه » لا ما يجب أن يكونوا عليه ؟

هما فارقان كبيران :

فارق فى الأساس : فأساس الإسلام « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » ومهمة المسلم مرضاة الله ، وإن أسخط ذلك الناس ، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يقول : « من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس » .

وفارق فى الطريق : فطريق المسلم محدود بحدود الله ، يلتزمها ويطالب بها ، ويؤثرها إذا خالفها الناس : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

« عبد الله » .. لم يفته فضل خدمة المجتمع ، لأن أفعال الخير فى دينه فرائض وقربات ، أما « عبد المجتمع » فقد فاتته رحمة الله .. « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

يا جند الله ... ذلك طريقكم !

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد صالح بك : المسلمون — العدد الأول ص : ٦٣ .

من القديم

المرأة المسلمة

للإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا

« هذا الباب : « من القديم » ، ننشر فيه بإذن الله من روائع ما كتب في الماضي مما يدخل في رسالة المجلة ، مستهدفين في ذلك ألا نحرم قراءنا من الخير الذي كتبه السابقون لمجرد أنه قديم ؛ بل لعل في صلاحيته للنشر — مع قدمه — دليلا على أصالة البحث ، وربما أبرزت إعادة نشره نواحي الحق التي لا تتغير ولا تزول . والحق قديم كما يقولون .

وقليل من الناس من يعلم أن الإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا رأس تحرير « المنار » فترة بعد سماحة السيد رشيد رضا رضي الله عنهما . والبحث الذي ننشره اليوم كتبه فضيلته ردا على سؤال من أحد قراء « المنار » في الجزئين الثامن والعاشر سنة ١٣٥٩ هـ . » .

التحرير

كتب إلى كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل وموقف الرجل منها ، ورأى الإسلام في ذلك ، وحث الناس على التمسك به والنزول على حكمه .

لست أجهل أهمية الكتابة في موضوع كهذا ، ولا أهمية انتظام شأن المرأة في الأمة ، فالمرأة نصف الشعب ، بل هي النصف الذي يؤثر في حياته أبلغ التأثير ؛ لأنه المدرسة الأولى التي تكوّن الأجيال وتصوغ الناشئة ، وعلى الصورة التي يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة ، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء .

لست أجهل كل هذا ، ولم يهمله الإسلام الحنيف وهو الذي جاء نوراً وهدى للناس ينظم لهم شئون الحياة على أدق النظم وأفضل القواعد والنواميس . . أجل لم يهمل الإسلام كل هذا ، ولم يدع الناس يهيمون فيه في كل واد ؛ بل بين لهم الأمر بيانا لا يدع زيادة لمستزيد .

وليس المهم في الحقيقة أن نعرف رأى الإسلام في المرأة والرجل ، وعلاقتهما وواجب كل منهما نحو الآخر ؛ فذلك أمر يكاد يكون معروفا لكل الناس . ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام ؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حبّ التقليد الأوربي والانغماس فيه إلى الأذقان .

ولا يكفي بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس في التقليد ، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ، ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالا سيئاً يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجاً كاملا ، ويجعلها نظما أخرى لاتتصل به بحال من الأحوال ، ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامي ، وكثيراً من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم .

هذا خطر مضاعف في الحقيقة ، فهم لم يكفهم أن يخالفوا ؛ حتى جاءوا يتلمسون المخارج القانونية لهذه المخالفة ، ويصبغونها بصبغة الحِل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يوماً من الأيام .

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظراً خالياً من الهوى ، وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه ؛ وبخاصة في هذا الأمر الذي يعتبر أساسياً وحيوياً في نهضتنا الحاضرة .

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا ، وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام في هذه الناحية .

أولا : الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات :

وهذه قضية مفروغ منها تقريباً ؛ فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختاً للرجل وشريكة له في حياته هي منه وهو منها « بعضكم من بعض » وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك وبحقوقها السياسية كاملة أيضاً ، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب ، يشكر إذا أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه . والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التي تؤكد هذا المعنى وتوضحه .

ثانيا : التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعاً للفوارق الطبيعية التي لامناص منها بين الرجل والمرأة ، وتبعاً لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما ، وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما :

وقد يقال إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والأحوال

ولم يسوِّ بينهما تسوية كاملة ، وذلك صحيح. ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه ان انتقص من حق المرأة شيئاً فى ناحية فإنه قد عوضها خيراً منه فى ناحية أخرى . أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشىء آخر . وهل يستطيع أحد كائنا من كان أن يدعى أن تكوين المرأة الجسمانى والروحى كتكوين الرجل سواء بسواء .. وهل يستطيع أحد كائناً من كان أن يدعى أن الدور الذى يجب أن تقوم به المرأة فى الحياة هو الدور الذى يجب أن يقوم به الرجل مادمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة . .

أعتقد أن التكوينين مختلفان وأن المهمتين مختلفتان كذلك ، وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافاً فى نظم الحياة المتصلة بكل منهما ، وهذا هو سر ماجاء فى الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات .

ثالثا : بين المرأة والرجل تجاذب فطرى قوى هو الأساس الأول للعلاقة بينهما ، وأن الغاية منه قبل أن تكون المتعة وما إليها ، هى التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة :

وقد أشار الإسلام إلى هذا الميل النفسانى وزكاه وصرفه عن المعنى الحيوانى أجمل الصرف إلى معنى روحى يعظم غايته ويوضح المقصود منه ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت إلى صورة التعاون التام ، ولنسمع قول الله تبارك وتعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

* * *

هذه هى الأصول التى راعاها الإسلام وقررها فى نظرته إلى المرأة ، وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلا للتعاون التام بين الجنسين بحيث يستفيد كل منهما من الآخر ويعينه على شئون الحياة .

والكلام عن المرأة فى المجتمع فى نظر الإسلام يتلخص فى هذه النقط :

أولا : يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة ، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا ، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا . وفى الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وفى الحديث الصحيح « كلكم راع ومسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر ، وعن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » رواه ابن ماجة بإسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذى واللفظ له وأبو داود إلا أنه قال (فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة) .

ومن حسن التأديب أن يعلمهن مالا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة والكتابة والحساب والدين وتاريخ السلف الصالح رجالا ونساء وتدبير المنزل والشئون الصحية ومبادىء التربية وسياسة الأطفال وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها ، وفى حديث البخارى رضى الله عنه : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه فى دين الله تبارك وتعالى .

أما المقالات فى غير ذلك من العلوم التى لا حاجة للمرأة بها فعبث لا طائل تحته ، فليست المرأة فى حاجة إليه وخير لها أن تصرف وقتها فى النافع المفيد .

ليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى اللغات المختلفة .

وليست فى حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولا وأخيرا .

وليست المرأة فى حاجة إلى التبحر فى دراسة الحقوق والقوانين ، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس .

كان أبو العلاء المعرى يوصى بالنساء فيقول :

علموهن الغزل والنسج والرد ن[1] وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ص تجزىء عن يونس وبراءة

---

(١) حياكة الملابس .

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد ، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون في تحميل المرأة مالا حاجة لها به من أنواع الدراسات ، ولكننا نقول : علموا المرأة ماهي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها : تدبير المنزل ورعاية الطفل .

ثانياً : التفريق بين المرأة وبين الرجل :

يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققاً ، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج ، ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك .

سيقول دعاة الاختلاط إن في ذلك حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع وحلاوة الأنس التي يجدها كل منهما في سكونه للآخر ، والتي توجد شعورا يستتبع كثيرا من الآداب الاجتماعية من الرقة وحسن المعاشرة ولطف الحديث ودماثة الطباع . . . الخ وسيقولون إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلا منهما مشوقاً أبداً إلى الآخر ، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير في هذا الشأن ويجعله أمراً عادياً في النفوس (وأحب شيء إلى الإنسان ما منعا) ، وما ملكته اليد زهدته النفس .

كذا يقولون ويفتتن بقولهم كثير من الشبان ، ولا سيما وهي فكر توافق أهواء النفوس ، وتساير شهواتها ، ونحن نقول لهؤلاء : مع أننا لا نسلم بما ذكرتم في الأمر الأول ، نقول لكم إن ما يعقب لذة الاجتماع وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض ، وخبث الطوايا وفساد النفوس ، وتهدم البيوت ، وشقاء الأسر ، وبلاء الجريمة ، وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة ، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة ، وكل ذلك ملموس لا يماري فيه إلا مكابر .

كل هذه الآثار السيئة التي تترتب على الاختلاط تربو ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد ، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة أولى ، ولا سيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئا بجانب هذا الفساد

أما الأمر الثاني فغير صحيح ، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل ، وقديماً قيل : إن الطعام يقوي شهوة النهم ، والرجل يعيش مع امرأته دهراً ، ويجد الميل إليها يتجدد في نفسه ، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها ، والمرأة التي تخالط الرجال تتفنن في إبداء ضروب زينتها ، ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها ، وهذا أيضاً أثر اقتصادي

من أسوأ الآثار التى يعقبها الاختلاط ، وهو الإسراف فى الزينة والتبرج المؤدى إلى الإفلاس والخراب والفقر .

لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامى مجتمع فردى لا زوجى ، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ، ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ، ولكنه وقف عند هذا الحد ، واشترط له شروطاً شديدة : من البعد عن كل مظاهر الزينة ، ومن ستر الجسم ، ومن إحاطة الثياب به ، فلا تصف ولا تشف ، ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما تكن الظروف وهكذا .

إن من أكبر الكبائر فى الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له ، ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين فى هذا الاختلاط أخذاً قوياً محكما .

فالستر فى الملابس أدب من آدابه .

وتحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه .

وغض الطرف واجب من واجباته .

والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره .

والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة ، وبخاصة عند الخروج حد من حدوده .

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه ، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهى أقرب الفتن إلى قلبها ، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النور : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن ، إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

وفى سورة الأحزاب : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » . .

إلى آيات أخر كثيرة . .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عن ربه عز وجل : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته فى قلبه » . رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ، أو ليكسفن الله وجوهكم » . رواه الطبرانى .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صباح إلا وملكان يناديان : ويل للرجال من النساء ، وويل للنساء من الرجال » . رواه ابن ماجه والحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى عليه قال : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال الحم الموت » . رواه البخارى ومسلم والترمذى ، والمراد بدخول الأحماء على المرأة الخلوة بها . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم » . رواه البخارى ومسلم .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقاة من رجال الصحيح ، كذا قال الحافظ المنذرى .

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا » وكذا يعنى : زانية . رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، ورواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ،

ولفظهم : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية » : أي كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » . رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والطبراني . وعنه : أن امرأة مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوساً ، فقال : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » . رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات[1] والمتفلجات[2] للحسن المغيرات خلق الله فقالت له امرأة في ذلك ، فقال : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله ، قال الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي .

وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت ، وأنها مرضت فتمعط[3] شعرها ، فأرادوا أن يصلوها ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة » وفي رواية : « أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له وقالت ، إن زوجها أمرني أن أصل شعرها ، فقال لا ، إنه قد لعن الموصولات » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه . وفي رواية للبخاري ومسلم : « لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها » .

---

(١) المتنمصات : الناتفات شعورهن للزينة .

(٢) المتفلجات : الباردات أسنانهن للتجميل .

(٣) تمعط شعرها : سقط .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » . رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أسماء إن المرأة إذ بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه » رواه أبو داود وقال هذا مرسل ، وخالد بن دريك لم يدرك عائشة .

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : « إني أحب الصلاة معك » قال : « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل . رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما .

وليس بعد هذا البيان بيان ، ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام في شيء ؛ فهذا الاختلاط الفاشي بيننا في المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة ، وهذا الخروج إلى الملاهي والمطاعم والحدائق ، وهذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة ، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة ، ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار .

يقول كثير من الناس : إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة ، وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا ، فأتوني بنص يحرم ذلك ، ومثل هؤلاء مثل من يقول : إن ضرب الوالدين جائز ، لأن المنهي عنه في الآية أن يقال لهما : «أف» ولا نص على الضرب .

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها ، وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها ، ويحبب إليها الصلاة في بيتها ، ويعتبر النظرة سهما من سهام إبليس ، وينكر

عليها أن تحمل قوسا متشبهة فى ذلك بالرجل ؛ أفيقال بعد هذا إن الإسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة ؟

إن الإسلام يرى المرأة مهمة طبيعة أساسية هى المنزل والطفل ، فهى كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسرى ، وهى كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها ، وهى كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء ، وأن تتفرغ لهذا البيت ، فهى ربته ومدبرته وملكته . ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه ؟

فإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجىء المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها ؛ فإن من واجبها حينئذ أن تراعى هذه الشرائط التى وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا أن يكون هذا نظاماعاما ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه . والكلام فى هذه الناحية أكثر من أن يحاط به ، ولا سيما فى هذا العصر «الميكانيكى» الذى أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية فى كل شعب وفى كل دولة .

وللاسلام بعد ذلك آداب كريمة فى حق الزوج على زوجه ، والزوجة على زوجها ، والوالدين على أبنائهما ، والأبناء على والديهم . وما يجب أن يسود الأسرة من حب وتعاضد على الخير ، وما يجب أن تقدمه للأمة من خدمات جلى مما لو أخذ الناس بها لسعدوا فى الحياتين ، ولفازوا بالعادتين ؟

خلود . .

روى الإمام شمس الدين بن القيم فى إعلام الموقعين (١ : ١٦) أن مالك بن يخامر أحد تلاميذ الصحابى الجليل معاذ بن جبل قال :

لما حضرت معاذ الوفاة بكيت ، فقال لى :

— ما يبكيك ؟

قلت : والله ما أبكى على دنيا كنت أصيبها منك ، ولكن أبكى على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك .

فقال معاذ :

« أن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما » .

كلمة لغير المسلمين
وكلمة للمسلمين

لدولة السيد محمد ناصر

رئيس وزراء أندونيسيا السابق

كلما نادينا بحكومة إسلامية فى أى مكان من العالم الإسلامى انزعج لذلك غيرُ المسلمين ، وفهموا أننا نريدُ حكما غامضاً رهيبا ، كالحكم الإلهى theocracy الذى عرفَتْهُ القرون الوسطى . إن ذلك فهمٌ خاطئٌ للاسلام ولمعنى الحكومة الإسلامية كما يفهمه العاملون لها ... ليس فى الإسلام قِدِّيسون ، ولكن هناك علماء وفقهاء فى مختلف شئون الدين ، وهم ليسوا قدِّيسين يؤدُّون الشعائر باسم الكهنة ، إنما هم أئمة بين يدى شريعة واضحة ، يستطيع كل مسلم إذا تعلم واجتهد أن يعرف أحكامها . ثم إن الأئمة الرسميين ليست إمامتهم فرضاً فى هذا الدين ، ولكنها تنظيمٌ إدارىٌ اقتضته الحاجة العملية للمسلمين .

ليس هناك فى هذا الإسلام الذى نؤمن به قديسٌ باسم السلطة الكهنوتيَّة ، ولا سلطة قديسية لها دور خاص فى الحكم أو التشريع أو الإدارة أو القضاء وأوضح من ذلك أنه لا يوجد فى الإسلام كنيسة ذات كيان مستقل داخل الدولة ، بل يجب أن يقوم الإسلام كعقيدة فى كل ناحية من نواحى حياةِ المسلمين الفردية والجماعية ، الشعبية والرسمية ، وهكذا يَحتضِنُ الإسلام حياة الأمة كلها ، ولا يعترف بالفصل بين الدين والمجتمع والدولة ، ويظلُّ مع ذلك بعيداً كل البعد عن الحكم المقدس البغيض .. لست بذلك أعتذر عن الإسلام ؛ فالإسلام أعزُّ من ذلك ، وهو لا يحتاج إلى من يعتذرُ عنه ، وإنما أردتُ فقط أن أردَّ شبهة عميقة الجذور فى أذهانِ الغربيين ومن ذَهب مذهبهم .

أما إذا كان المقصود هو أنهم يعيبون علينا تديننا ، فليسمحوا لى أن أكون صريحاً . إنَّ أكثرَ الأمريكان يفكرون فى بلادهم وأنفسهم كمسيحيين ، ورئيسهم الراحل روزفلت كان مسيحياً سافراً ، وكان لا يغفل المسيحية فى أىِّ خطاب وجهه إلى العالم أثناء الحرب العالمية الأخيرة . والإنجليز كذلك مسيحيون : دولتهم مسيحية ، وملكتهم

هى رأس الكنيسة وحامية الإيمان المسيحى ؛ ولذلك فإن طقوس الكنيسة الدينية تحتل مكاناً كبيرا من اهتمام الدولة . والهولنديون مسيحيون ، اشترطوا فى دستورهم أن يكونَ الملكُ بروتستانتى العقيدة ، بل إن هولندا حكمت حكما كنسياً من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٤٠ . كل هذه الدول ومعها غيرها من دول أوربا المسيحية ، حتى فرنسا ، البعيدة عن الدين فى جهازها الرسمى . قد ظاهرت النشاط التبشيرى المسيحى خارج أوربا فى آسيا وأفريقيا واستراليا ، وخاصة فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، حتى إنه ظلّ يقال إلى القرن التاسع عشر : إن وسائل أوربا فى حكمها الاستعمارى ثلاث : التجارة والتبشير والحرب .

وإذا كنت قد عنيتُ بهذه الكلمات غير المسلمين وخوفهم من حكم الإسلام ، فإنى أحب أن أقول للمسلمين وهم يطالبون بهذا الحكم : إن وضع الدساتير والقوانين لا يعالج إلا جانبا واحدا من المشكلة . . . فالقوانين وحدها لا تغير الرجال ، والأمة هى التى يقع عليها عبء صناعة الدستور فى استهدافها المبادىء النبيلة التى يحويها ، وفى تكييف حياة أبنائها لنصه وروحه : فى أقوالهم وأفعالهم ، وفى حياتهم اليومية ، أفراداً وجماعات .



إن الإيمانَ لا يُقنن ، كما أن الحب لا يقنن ... والإنسانُ يحب حينما يُلهم الحب والمؤمن يؤمن حينما يُلهم الإيمان . . . يلهمه بإخلاصه وصفاء عقيدته ، وبالجمال النفسى الذى ينبثق دواما فى نفس المؤمن الصادق .

يجب أن يشيع فى الأمة الإيمانُ العملى لا النظرى ؛ فإن الرجل يقاس بتصرفاته وسلوكه وأعماله ، فإذا ادعى أنه غنى ، وفقره باد للعيان ، وإذا ادعى أنه عزيز ، وأنفه فى الرغام ، وإذا ادعى أنه على الصراطِ المستقيم بينما هو يغوص فى إحدى حفرِ الطريق ، إذا ادعى ذلك فإنه لا يستحق العطف لأنه كذاب . . .

يجب أن يعلم شبابنا الحائر أن الإسلام غيرُ ما يراه من أحوال المسلمين ، ويجب علينا أن نردَّ إلى كلمة الإسلام مدلولها القرآنى النبوى القديم .

إنى — وكثير من أمثالى — نعتقدُ أننا مقبلون على نهضة جديدة .

ولكننا لن ننهض بالتهريج ولا بالكلام ، ولن يقوم لنا كيان بمجرد دعوى الإيمان ، ولكن بالعملِ والاستقامة والصدق .

ليس الإسلام أن تعفر جبينك فى الصلاة ثم تتركه عمدا كى يراه الناس .

وليس الإسلام أن تلوكَ — وأنت فارغ القلبِ — آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

إنما الإسلام هو السر المكنون . . . هو العهدُ والميثاق بين اللهِ وبين عباده القانتين العاملين . . . الإسلامُ هو العملُ الصالح الذى يقصد به وجه الله ، وتفرضه أخوة الإسلام .

« ظَهَر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون . قل سيروا فى الأرضِ فانظروا كيف كانَ عاقبة الذين من قبل كان أكثرُهم مشركين . فأقم وجهَكَ للدينِ القيم من قبلِ أن يأتىَ يوم لا مرَدَّ له من اللهِ يومئذ يصدعون » .

إن الأرض قد عمها فساد كبير ، وقد أسلمت الجوعُ البشرية فى الشرق والغرب أنفسها للدمار ، وهانحن المسلمين فى مطلع هذا الطريقِ المخيف نجد أنفسنا وأرضنا وقد أصبح يضفى علينا ثوبٌ جديدٌ من الكرامة ؛ ففى أيدينا المواقع الاستراتيجية ، وعندنا المجالاتُ الحيوية ، وأرضُنا أصبح غيرنا يسمها « المفتاح » ، ولكن مفتاح ماذا ؟ أمفتاحُ طريقنا إلى الجنة أم إلى الجحيم ؟ إن مرجعَ ذلك إلينا وحدنا ، وليس علينا إلا أن نرجعَ إلى القرآن ، وإلا أن نذكرَ سبيلَ الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن نسألَ الله أن يميزَ لنا الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب .

إن اللهَ قد أنعم علينا إذ أمهلنا ألف سنة ، ليس لنا بعدها إلا أن ننهضَ أو أن يحكم علينا بالفناء ، وإذا لم نتعلم كيف نبصر فى النور بعد هذا الظلام الطويل ، فقد حقَّ علينا قولُ ربنا : « وإن تَتَولَّوْا يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » .

لقد بُهِرَ العالم على عهدِ الرسول ، وأرجو أن نبهره مرة أخرى بإذن الله « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

وليس بى حاجة بعد ذلك إلى كثير كلام ، فكل ذلك معروف ، وهو من صميم الإسلام ، وعلينا أن نحملَ إلى العالم رسالته فى نقائها وبساطتها الأولى ، وفى موازينها الخالدة التى تنظم شئونَ الحياةِ الإنسانيةِ أفضلَ تنظيم ، وتأخذ بأيدى الناسِ إلى الله « إن هذا القرآنَ يهدى للتى هى أقوم » .

وعلينا بعد الآن أن نضعَ جانبا الخلافاتِ والمناقشات ، فهذا وقتُ الفصل لا وقتُ التردد . . . ولقد أكثروا من التشدق بالرأسمالية والشيوعية ، ولا يصح أن نظل

هكذا سلبيين ، بل يجب أن نظهر للعالم أننا نملك الحل الإيجابيّ لمشاكل العالم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية :

لسنا في حاجة إلى أن نختار لأنفسنا ، فقد اختار الله لنا الطريق يوم أن أنزل هذا الدين ، وقد حدد لنا المصير حين أكرمنا بأن نكونَ مسلمين .

دعوا القيادةَ لله . . . وامشوا إلى حيثُ يريد ، وحطموا باسمه كل شيء يقف في طريق دعوته .

وإذا قُدر لهذه الأرضِ أن تشهد حرباً عالمية أخرى فنحن لا نملك إلا أن نستعينَ الله ، ونسلكَ أنفسنا في سبيله « وحده » . . . ذلك السبيلُ الذي سلكه أسلافنا من قبل ؛ فأشرق على الدنيا المظلمة نور الإسلام ؟



أخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن التوبة من الفرية ، فقال : تمشي إلى صاحبك فتقول : « كذبتُ بما قلت ، وظلمتُ وأسأت ، فإن شئتَ أخذت بحقك وإن شئت عفوتَ » .

الإمام ولىّ الله الدهلوى

(١١١٤ م — ١١٦٧ هـ)

لسماحة السيد مسعود الندوى

« أخى رئيس تحرير « المسلمون » ... ...
هذا فصل من بحث طويل فى تاريخ الدعوة الإسلامية بالهند ، أعتزم بإذن الله نشره فى كتاب ؛ وقد آثرت به أسرة « المسلمون » قبل غيرها لما فيه من نفع وعبرة ... »
مسعود الندوى

دخل الإسلام الهند من طريق الجبال الشمالية الغربيـة ، فى أواخر القرن الرابع للهجرة . وقد عرفت مما أسلفنا[1] من تاريخ الإسلام وغربته فى هذه البلاد ، ماجاوزوا الحد فيه من الجهل بالدين فى ستة القرون التى تلت[2] محموداً الغزنوى (٣٨٨ — ٤٢١هـ) وما نشر بعض ملوكهم فيها من الفساد والضلال .

وكذلك مرَّ بك فيما تقدم أنه ما نبغ فيهم طوال تلك القرون من يجدد لهم الدين ، وينهض بالأمر ويحيى مآثر الإسلام فى هذه البلاد ، ويعيد لها نضرتها وشبابها ، إلا رجلين صالحين : أحدهما — وهو الشيخ أحمد السرهندى المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ — كان فقيهاً ملك على الناس مشاعرهم وقلوبهم ، فأرشدهم إلى الحق ، وسعى سعيه فى إخراجهم من ظلمات الجهـل والشرك والبدعة . . والثانى — وهو الملك العادل أورنجزب المتوفى سـنة ١١٨٤ هـ — كان ملـكا ، عاش عيشة الزهاد والفقراء ، واجتهد بكل ما أوتى من عزيمة وقوة أن يكبح جماح الفتن ويقمع شرها .

وفيما سردنا من عظائم أعمالهما فى الفصول المتقدمة من هذا الـكتاب كفاية للقارىء المستبصر . ولـكن قل لى بالله ، ماذا يفعل ذانك الرجلان ، وقد تأصلت جذور الفتنة ، وامتَصَّت عروقُها دماء المسلمين الـشُّذَّج ستة قرون أو أكثر منها ، وأعيا الحذاق والنطاسيين من الأطباء دواؤها ، فتفاقم شرها ؟

(١) الـكتاب يتناول تاريخ الإسلام فى الهند — لا المسلمين — ونهضته وما طرأ عليه منها من تغير وتبدل فى مختلف الأحوال والأزمنة ، من مفتتح القرن الأول للهجرة إلى عصرنا الحاضر .
(٢) أول الملوك المسلمين الذين دخلوا الهند بطريق الجبال الشمالية الغربية .

عصر الإمام ولى الله

ولو خلَف الملك أورنجزب خلفٌ ، لهم رأى وصلاح وإقدام وعزيمة ، لكان يُرجى أن تثمر جهود ذينك المجاهدين الصالحين وتُؤتى أكلها ؛ لكنه مما يؤسف له أنه خلف من بعده خلف ، كل تالٍ منهم أضعف قوة وأدنى بأساً من سابقه ، حتى أصبحت الدولة المغولية على وشك الانقراض ، فنجمت قرون الفتن من جديد ، ونفقت سوق البدع والخرافات فى المسلمين حسب ماجرت به عادتهم منذ قرون ، وعادت الثقافة الهندكية الوثنية — التى كان قد تقلص ظلها بجهود الشيخ أحمد السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى من الهجرة ، والملك العادل أورنجزب — تسترد سابق عهدها وغابر شأنها .

وكذلك تطاولت الشيعية بأعناقها ، مستظلة برايات أمراء الولايات ، متدرجة فى أعطافهم وأكنافهم . هذا ما آلت إليه حال الحكومة ورجالها . أما العلماء والمشايخ ، فلا تسل عما صاروا إليه من الوهن فى عقائدهم ، والانحطاط فى أخلاقهم ، والتهاون فى سائر أعمالهم . فهؤلاء المتسمون بالدراويش ومدعو الصوفية ، قد بسطوا زرابيّهم فى زواياهم ، وانعزلوا عن الناس ، يكيدون للاسلام ، ويخربون بيوت الله بأيديهم وأيدى أتباعهم من الجاهلين .

أما المدارس[1] فما زالت ترتج بأصوات أتباع أرسطو وفلاسفة اليونان ؛ وإن تعجب ، فعجب عكوفهم على أعظم اليونان — أريد بها علومهم — البالية ودراستهم لكتبهم ومؤلفاتهم فى القرن الثانى عشر للهجرة ، وقد نخرت وبليت ، ولم يبق فى بلاد اليونان نفسها من يلتفت إليها ، ويبذل مجهوده فى تحصيلها ؛ لكن علماءنا ما زالوا معجبين بها ، واصلين ليلهم بنهارهم للتبريز فيها ، غافلين عن حاجات العصر ومقتضياته . فبقيت تلك المدارس المسماة « بالإسلامية » متمسكة ظلمات اليونان ، صارفة بوجهها عن

---

(١) دخلت العلوم « الدينية » فى الهند أولا فى القرن السابع ، وظل هم المسلمين منحصراً فى الفقه والأصول إلى القرن التاسع . ثم جاءت كتب التفتازانى (ف سنة ٧٩٣ هـ) فنالت رواجاً عظيما وتلقاها الناس بالقبول ، وأقبلوا على دراستها إقبالا . ثم جاءت كتب وشروح جديدة لكتب المتأخرين من المناطقة ، حتى جرى هذا المنهاج العقيم — المعروف بالدرس النظامى ، نسبة إلى الملا نظام الدين السهالوى (ف سنة ١١٦١ هـ) الذى لا يزال العمل به جارياً فى مدارسنا « الإسلامية » ؛ والنصيب الأوفر فيه للشروح والحواشى التى علقها المتأخرون على كتب المتفلسفين والمناطقة . ثم أضافوا إلى الدرس النظامى كثيراً من الشروح والحواشى لكتب المنطق ، فأصبح ضغثاً على إبالة .

ينبوع الدين ؛ فلا تكاد تسمع فيها للكتاب والسنة ذكراً أو همسا . . ومن أكبر البليات أن البيوتات العلمية الكبرى وفطاحل علمائها أيضاً كانوا يكتفون من كتب الحديث بدراسة مشكوة المصابيح[1] ومشارق الأنوار ؛ وهم هم الذين كانوا يصرفون سنين طويلة في العكوف على كتب أرسطو وعلماء اليونان ، ينخلونها نخلا ويقتلونها بحثاً ؛ فأيّ عجب إذا بلغ بهم الانحطاط هذا المبلغ ، وهل يرجى للمسلم شفاء من أدواء الجهل والبدع إذا تنكب عن عيون الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وكأني بهم ما استفادوا من عظات السيد المجدد[2] ، والشيخ عبد الحق[3] إلا تحلة للقسم ، وكأني بالشيخين لم ينجحا في ترغيب العلماء في القرآن والسنة إلا قليلا . والذي أراه أنه ماحرم طبقة من المسلمين دعوة السيد المجدد والشيخ عبد الحق ونصائحهما الغالية مثل ماحرمت علماؤنا إياها .

أما أهل الفتوى ، فجعلوا يقدسون كتب الفقه والفتاوى واتخذوها قرآنهم وآمنوا بها كما يؤمن بالغيب ، وأصبح الشك في مسألة من مسائلها عبارة عن كفر بالله وبرسوله . ومن ذا الذي يجترىء أن ينكر عليهم شيئاً من مسائلهم التي يُفتون بها أو أفتى بها بعض من تقدمهم من علمائهم وفقهائهم[4] كابن نجيم المصري (توفي سنة ٩٧٠هـ) أو الملا علي القاري الحنفي (توفي سنة ١٠١٤ هـ) وإن تجاسر أحد على ذلك ، سلقوه بألسنة حداد ونبزوه بألقاب شنيعة .

لعل القارىء يسائلني — وقد أسهبت الكلام على عصر الإمام ولي الله — كيف كانت معاملتهم للكتاب العزيز في مدارسهم وحلقات دروسهم ؟ — فالحق أحق أن يقال — إننا لم نسمع بالكتاب العزيز يدرس في مدارسهم ويصرف شيء من الأوقات في الكشف عن وجوه معانيه ، والتنقيب عن مُخبّآت أسراره ، وكيف يتأتى لهم ذلك ؟ . وقد تهافتوا على علوم اليونان تهافتاً ، وتزاحموا عليها بالمناكب ؛ فلم يكن لأهل العلم منهم أدنى إلمام بمعارف الكتاب العزيز ، دع عنك ذكر العامة والأوساط .

---

(١) ومن علمائنا المعاصرين من بلغت به العصبية للأسلاف والأجداد ، أن بالغ في الدفاع عن قلة احتفالهم بدراسة كتب الحديث وتهافتهم على خرافات اليونان وترهاتها .

(٢) هو الشيخ أحمد السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ .

(٣) الشيخ عبد الحق هو أول من نشر علم الحديث واجتهد في تعميم معارف السنة النبوية في شمال الهند . وله شرحان لمشكوة المصابيح ، أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية . توفي سنة ١٠٥٣ للهجرة ، رحمه الله وأسكنه فراديس جناته .

(٤) ذكرنا هذين العالمين الجهبذين ضرباً للمثل ، وليست التبعة على هؤلاء الأعلام ؛ إنما التبعة على الذين يؤمنون بأقوالهم ، إيمانهم بالكتاب والسنة .

العالم الإسلامى فى القرن الثانى عشر للهجرة

لما كانت دائرة كلامنا فى هذا الكتاب منحصرة فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ، ما تعرضنا للآن لما كانت عليه الحال فى سائر البلاد الإسلامية فى تلك القرون ، إلا أنه يجمل بنا الآن أن ننظر فى أحوال العالم الإسلامى وتتأمل أفكار أهله وأعمالهم فى القرن الثانى عشر للهجرة ؛ لأنا نحن الآن بصدد ترجمة رجل عبق أريج فضله فى العرب والعجم ، واخترقت معارفه حدود بلاد الهند ، فلا يخفى على من له إلمام بمجريات التاريخ الإسلامى ، الانحطاط العلمىّ والفكرى الذى أحاط بالعالم الإسلامى سرادقه ، وأناخ عليه بكلكله منذ القرن الثامن للهجرة ؛ فقد أغلق الفقهاء باب الاجتهاد ، وتلقوا متون مؤلفات المتأخرين وحواشيها بالقبول فى حلقات دروسهم . وكذلك تسرّب إلى المجتمع الإسلامى وهن فى خُلق أهله وشمائلهم لاستيلاء الأمراء الجهلة على أمورهم ، واستبدادهم بالأمر دون غيرهم ، فدبّ فيهم دبيب الانحطاط ، دبيب الديدان فى العود ، إلى أن استفحل الأمر واشتد الخطب وبلغ الأمر مبلغاً فى بدء القرن الثانى عشر للهجرة ؛ بكى عليه الصديق ورثى له العدو الشامت .

وهذا ستودارد (Lothrop Stoddard) الأمريكى أحد علماء الاجتماع المعاصرين ، قد وصف تلك الحال الموجعة المؤلمة وصفاً دقيقاً ، وصورها تصويراً « حتى لو أن فيلسوفاً نقريساً من فلاسفة الإسلام أو مؤرخاً عبقرياً بصيراً يجمع أمراضه الاجتماعية ، أراد تشخيص حالته فى هذه القرون الأخيرة ما أمكن أن يصيب المحز ، وأن يطبق تطبيق هذا الكاتب الأمريكى ستودارد » كما قاله أعظم كتاب الشرق فى هذا العصر وإمامهم الأمير شكيب أرسلان — رحمه الله وأسكنه فراديس جناته — وهاك ما وشته بنانه ، لتعرف كيف يشخص كاتب نصرانى أمراضنا الاجتماعية .

قال ستودراد[1] وهو يصف حال المسلمين والإسلام فى القرن الثامن عشر للميلاد :

(القرن الثانى عشر للهجرة) :

فى القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدنّى والانحطاط أعمق دركة ؛ فاربدّ جوه وطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه

---

(١) The New world of Islam (٣٠ — ٣٧) والتعريب للأستاذ عجاج نويهض (حاضر العالم الإسلامى : ١ — ٣٧ — ٢٥٩) ؛ إلا أننا ما تقيدنا بتعريبه .

وانتشر فيه وساد الأخلاق والآداب ؛ وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربى ، واستغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات ، لا فرق بين الخاصة والعامة فى ذلك . وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، لانعدام من يتعهد المدارس العديدة الباقية ، بالإنفاق عليها ، والقيام بشئونها ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد ، وفوضى واغتيال ؛ فليس يرى فى العالم ذلك العهد ، سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان « تركية » وأواخر ملوك المغول فى الهند (أى الذين ملكوا الأمر بعد وفاة أورنجزيب) يحكمون حكما واهناً ، فاشى القوة . وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة ، وينشئون حكومات مستقلة ، ولكن مستبدة ، كالتى خرجوا عليها . وكان هؤلاء الولاة البغاة لا يستطيعون إخضاع من فى حكمهم من الزعماء وأمراء الأقاليم هنا وهناك ؛ فكثر السلب والنهب ، وفقد الأمن ، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً . وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون ، يزيدن الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق ، فغُلّت الأيدى ، وقعد الناس عن طلب الرزق ؛ وكاد العزم ينعدم فى نفوس الأهالى ؛ وبارت التجارة بوراً شديداً ، وأهملت الزراعة أيما إهمال .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ؛ فألبس التوحيد النزيه الساذج (austere) ، الذى علمه صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية . خلت المساجد من من المُصلّين وأقفرت ، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والدراويش المُشَعوذين ، يخرجون من مكان إلى مكان . يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغمونهم فى الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وظنوا أن الله تقدست أسماؤه بمكانة لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة هؤلاء الأولياء ، وغابت عن الناس تعاليم القرآن ، وهم بين غافل وجاحد ؛ فصار يشرب الخمر ، ويتعاطى الأفيون فى كل مكان ، وانتشرت الفحشاء ، وهتكوا ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج الذى فرضه النبى (؟ الله) على من استطاعه ضرباً من المستهزءات . وعلى الجملة ، فقد بُدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر ، ورأى ما كان يدهى الإسلام ، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يُلعن المرتدون وعَبَدَة الأوثان .

بينما بلغ حال المسلمين إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط ، وذهبت بهم الغواية كل مذهب بزغت الشمس التى أشرقت بنورها الظلمات ، وانقشعت بضيائها سحب البدع

والمنكرات ، ونبغ الرجل الذى رتق الفتوق التى ضلت بها العقول ، وجبر الصدوع التى حارت لأجلها الألباب .

ألا ، وذلك الرجل العبقرى الفذ ، هو الإمام العارف بالله الحجة الشيخ ولى[1] الله ابن عبد الرحيم الدهلوى ، فتبدلت الأرضُ غيرَ الأرض وتغير الجو ، وخفقت راية الكتاب والسنة ، مرفرفة بعد ما كانت ناكسة ، وظهرت بوادر الإصلاح والتجديد بعد ما كانت خافية ، وذلك كله بمساعى الإمام ولى الله الدهلوى ، وأنجاله الغُرّ الميامين الكرام ، وتلامذته النجباء ، والنوابغ العظام الذين جددوا مادرس من آثار الدين القيم ، وأحيوا معالمه ، ورغبوا الناس فى الاعتصام بالكتاب والسنة ، إلى غير ذلك من أعمالهم التى تضيق عن سردها بطون الأسفار .

ولكن هذه النظرية الإجمالية فى تاريخ الإسلام فى الهند تبقى ناقصة بتراء ، إن أغفلنا ذكر أعمال الإمام ولى الله ومساعيه الجليلة فى إحياء دعوة الإسلام ، وإقامة الدين من جديد . وها أنذا مُفْض إليك بلُمَع من جلائل أعماله ، متوخياً الإيجاز حسب ما استطعت ؟

(للبحث بقية)

(١) ولد سنة ١١١٤ الهجرة . وكان أبوه الشاه عبد الرحيم (ف سنة ١١٣١ هـ) معدوداً من كبار الشيوخ فى عصره . قرأ الإمام على أبيه وتخرج على يده ، ولم يجاوز السنة الخامسة عشرة من عمره ثم اشتغل بالتدريس الى أن تاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين ، فسافر إليهما سنة ١١٤٣ ، وهو إذ ذاك فى الثلاثين من عمره ، وأقام هنالك عامين وقرأ الحديث على الشيخ ابى الطاهر محمد بن إبراهيم الكردى المدنى (ف سنة ١١٤٥ هـ) ثم رجع سنة ١١٤٥ الى الهند وبقى بها يدرس ويصنف ثلاثين سنة ، انتفع به فى خلالها خلق كثير لايحصون ، وتوفى سنة ١١٧٦ هـ رحمه الله ونضر وجهه يوم القيامة .

سبحات فكر

لسعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

رمضان

صوم رمضان مشقة ، ولكن لابد منها لرياضة النفوس على احتمال المشاق . وهو حرمان ، ولكنه عظيم الأثر في توطين الإنسان على ما يكره . وهو تغيير في أسلوب العيش ، ولكنه حسن يجنب الناس — حيناً — هذه المعيشة المتشابهة التي يصبح الإنسان فيها ويمسي على نسق واحد .

قل أن يحمل الإنسان نفسه على ما تكره إلا في رمضان ، وقل أن يحرم الإنسان نفسه مما تشتهي حيناً إلا في رمضان ، وقل أن يغير الإنسان أسلوب عيشه ، ويخلص من هذه الدائرة المفرغة إلا في رمضان . وقليل منا من يعرف من دهره ساعات السحر ونسمات الفجر طوال عامه إلا في ليالي رمضان ، وقل أن يتزاور الناس ويتهادوا ويتراحموا ويفرحوا كما يفعلون في هذا الشهر المبارك .

فينا من لا يصوم رمضان لأنه لا يبالي بالدين ولا يعنى برياضة النفس ، وهو في شغل شاغل من لذاته ليل نهار ، وفينا من لا يصوم رمضان إشفاقاً من مشقة ، وعجزاً عن صبر نفسه على مكروهها ساعات ، وفينا من يصوم رمضان ولا يصل بين صومه ونفسه ، بل يكون في الصوم أشد شراسة وأحد سلاطة ، وأكثر عبوساً وتجهماً .

إنما نريد الصوامين يروضون أجسامهم وأنفسهم ، ويطبون لأبدانهم وأرواحهم طوال الشهر بالحمية والعفة والمودة والمرحمة والذكر والفكر؛ فيخرجون من الشهر كما يخرج المريض من المستشفى وقد أبل واسترد صحته . نريد صوامين هم من رمضان في عبادة وصلاح مستمر ورقي متصل ، وهم في سائر العام في أثر رمضان وذكراه وهداه .

* * *

التراويح فى الحرم

صليت التراويح فى المسجد الحرام ؛ والإمام يقرأ فيها جزءاً من القرآن ليختم القرآن فى الشهر .

قام الإمام فى جانب المطاف متوجها إلى الكعبة بين الركن اليمانى والحطيم . ويقوم الأئمة فى غير التراويح بين مقام إبراهيم والكعبة متوجهين إلى الجدار الذى فيه الباب ؛ ولكن فى التراويح يفسحون المطاف للطائفين فيصلون حيث ذكرت .

لا أنسى الصفوف محيطة بالكعبة على نظام محكم ، والمصابيح ترسل على الوجوه نورها ، والقمر فوقنا ينافسها إنارة المصلين ، والنسيم يسرى فيمحو عن المسجد حرّ النهار ، ويمسح وجوه المصلين ويمس ثيابهم رفيقا رقيقاً .

والقرآن تنبعث نغماته فتخالط النور والهواء ، ولم تزل نغماته متصلة منذ قرأه الرسول الكريم حول الكعبة أول مرة .

والتكبير يدوّى فى الأرجاء كأنه توقيع فى هذه الموسيقى الروحية التى يؤلّفها نور المصابيح وأشعة القمر وخفقات النسيم وتلاوة القرآن .

كنت أشغل عن الصلاة حينا بالتأمل فى هذا المشهد العظيم ، أقول : وما عليك إن شغلت عن صلاتك لترى صلاة السماء والأرض فى هذا المرأى الرائع ، وتبصر قيام العالم كله حول الكعبة . أليست هذه الصفوف مقدمة صفوف متلاحقة متواصلة من الكعبة إلى أقصى الجهات ؟ . . . هل يخلو ميل من الأرض فى بلاد المسلمين من مصل منفرد أو جماعة وجهتها الكعبة ولسانها القرآن ونداؤها التكبير ؟ فأنظر إلى هذه الجماعة الكبرى تتلاحق صفوفها ، واستمع إلى هذه الموسيقى تتوالى نغماتها ، وتمتد موجاتها من هذه الكعبة إلى بلاد نائية فى أقطار الأرض .

هنا مركز الدائرة ، وهنا قطب المغناطيس تتوجه إليه القلوب والوجوه . هنا أخوة المسلمين . هنا توحيد الله . . . . الله أكبر .

* * *

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

إذا رأيت أمة معتلة ، أمورها مختلة ؛ فاعلم أن أصل الداء فى الأنفس ، وأن كل ما ترى من فساد ظاهر أعراض للداء المستكن .. يحسب أن داء أمة الفقر فتعطى المال ، وندر عليها المكاسب فتتغير الظواهر ، وتبقى البواطن سقيمة ، ويظهر السقم فى الأقوال والأفعال على تبدل الهيئات والأشكال . علِّم أمة سقيمة أحكم القوانين وأصلحها تتبدل فى أيديها إلى قوانين فاسدة ، أو تبقى ألفاظها صالحة ومعانيها معطلة . وأوثق هذه الأمة بما شئت من نظام فى سياستها وإدارة أمورها ، وبالغ ماشئت فى وضع القوانين وإقامة الحراس عليها تجد للأهواء تحللا من هذه القيود ، وللرئيس سلطانا فوق هذه النظم .

وتستطيع هذه الأمة أن تلبس كما تلبس الأمم الصالحة ، وتتخذ من العدد والآلات والرياش والزينة مثل ما يتخذون ، بل تستطيع أن تأخذ نصيبها من العلم والصناعة ؛ ولكن هذه الألبسة والعدد والعلوم والصناعات لا تصلح أحوال الأمة ، ولا تسعدها ما دامت الطوايا سقيمة ، والأخلاق عليلة ، وما بقيت النفوس التى تلبس وتتصرف بالآلات والزينات مريضة ، لا تدرك النظام والوئام ، ولا تقدر الحق والخير ، ولا تجنح إلى التعاون والتعاضد والمواساة . إن هذه الظواهر لا تصلح الأمم ولا تنقلها من حال إلى حال إلا ظاهرا ، ولا تحول دون الظلم والمحاباة والسرقة والاحتيال للاجرام سراً أو علانية ؛ إنما الأمم الأخلاق ، وإنما مستقر الأخلاق النفوس فأصلح النفوس تصلح الأخلاق ، وتصلح الأمة .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

***

جواد العمر

أسوم جواد العمر ريثاً وماله ركاب برجلى أو عنان بأنملى

« إقبال »

ترجمة عبد الوهاب عزام بك

دعاء

للأستاذ محمود جعفر الجبالى

لايستطيع غير المسلم أن يدرك ماللاسلام من قوة وتمكن فى القلوب مهما اختلفت أجناسها وتعددت ألوانها ولغاتها ، بل إن هذا الدين المتين ليتميز بذلك الطابع الفريد الذى هو دليل آخر على قوله تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » .

ولقد رأيت برهاناً على ذلك بعينى ، وسمعته بأذنى . .

كان ذلك فى مكة المكرمة . وقد طفت يوما بالبيت العتيق ، وأكملت الأشواط السبعة وأنا فى صمت عميق ؛ فالسكوت أحياناً أبلغ من الكلام : «تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب » . وكنت أستمع إلى ما يتمتم به إخوانى الطائفون أحياناً ، وما تعلو به أصواتهم أحياناً أخرى ، من دعاء بمختلف الألسن واللغات واللهجات ، فأقول فى نفسى . . . سبحانك اللهم وبحمدك . . سبحانك يا عظيم . . شاءت حكمتك البالغة أن تجعل هنا أول بيت وضع للناس ، وأن تجعل أفئدة من الناس تهوى إليه ، استجابة لدعوة خليلك إبراهيم عليه السلام . . . وهاهم الناس من كل لون وجنس ، ومن كل فج عميق ، يهرعون إلى البيت العتيق ، سائلين مستغفرين تائبين .

ما أحلى وقع هذه الأدعيات فى الأذن . . وما أشد وقعها فى القلب . . وما أبلغ دلالتها على عظمة الخالق ، وعلى عظمة الإيمان بالخالق ، وعلى جمال العبودية للخالق !

وانتهى بى المطاف إلى الملتزم ، فوقفت وأنا صامت أيضاً ، حتى لاحت لى فرجة بين الملتزمين ، فتقدمت والتزمت الأعتاب المقدسة ، وانتقلت إلى عالم آخر ، تضاءلت إلى جواره كل أسباب العظمة المادية والزيف الدنيوى ، وتقلصت الروح من سيطرة الجسم وكثافة المادة إلى شفافية خالصة وحساسية فائقة ، وجعلت أستحضر فى ذهنى مايناسب ذلك المقام الرفيع ، لدى بابه الكريم ، من عبارات أزنها بميزان الدقة وأصوغها بمعيار البلاغة ، حتى إذا مابدأت دعائى كان كما أحب وأعتقد أنه يليق بجلال الموقف .

. . . . وطرق سمعى دعاء .

كان صاحبه يقف إلى جوارى ، وكان رجلا من البادية ، ساذجا ، بسيطاً ، فقيراً

هادئاً ، ارتفع صوته فى نبرات صريحة صافية ، وخلت عباراته من زخارف النطق واصطلاحات التعبير ، ارتفع صوته الآدمى المجرد بدعاء ساذج بسيط ، هادىء مسترسل.

وشغلت عن نفسى ، وعما أعددته من دعاء ، وعن كل ما حولى ، بسماع هذا الدعاء ، كان دعاء جديداً لم تألفه أذنى كتلك الأدعيات المألوفة ، وكنت أخال الملائكة تؤمن عليه . ولن تسعفنى الذاكرة بنقل ما كان يدعو به صاحبى بالنص ؛ فقد كنت إذ ذاك فى نشوة ..

كان صاحبى يقول : لقد طفت ببيتك ياألله ، ياعظيم ، راغباً ، محباً ، طائعا ،وأنا أطلب منك ياألله ، أن تقبل طوافى ، وصلاتى ونسكى .

لقد طفت ببيتك يا ألله ، خالصاً مخلصاً ، نادما مستغفراً ، ومن يغفر الذنوب إلا أنت ، وأنا الآن واقف ببابك الكريم ، أجد من حق كعبد لك، أن أسألك القبول .

لقد طفت ببيتك يا ألله ، بعد أن تركت أهلى وولدى وبلدى ، وجئتك راجياً عفوك ، سائلا فضلك ؛ ومن غيرك أرجو عفوه ، وأسأل فضله ؟ .

لقد طفت ببيتك ياألله ، مودعا .. وأنا أريد العودة لأهلى وولدى ؛ فأستأذنك يامولاى أن أعود لأهلى وولدى .

أنت يامولاى عفوٌ تحب العفو ، كريم تجيب السائلين ، غفور تغفر الذنوب جميعاً ، وقدطفت ببيتك الكريم مودعاً ، وأنا أستأذنك أن أعود لأهلى وولدى ، فأذن لى ياألله.

أستأذنك يا ألله فى العودة إلى بلدى وولدى ، ولكنى أسألك يا ألله ألا تحرمنى من رؤية بيتك الكريم ، مرات ومرات .

كانت هذه هى المعانى التى يرددها صاحبى البدوى بأسلوبه الساذج البسيط ، وبلغته البدوية الخالصة ، وكانت كلماته ترن فى أذنى فتصل إلى أعماق قلبى ، وكنت أؤمن على كل كلمة يقولها وأجد فيها خير مايعبر عن خواطرى وابتهالاتى .

هذه هى اللغة التى تصل ، غير مزوقة ولا منمقة ولا مرتبة ولا منظمة .. ولكنها تصل .

هذا هو الدعاء ، الدعاء المقبول ؛ لأنه صادر من قلب خالص ، لم يشغل عن ربه بشىء من مشاغل الحياة ومشاكل العيش ، وما أكثرها وأشدها بالنسبة لصاحب ذلك القلب .

رجل فقير ، لو نظرت إليه لخلته حمالا أو سقاء ، ولكنه كان مؤمناً صادق الإيمان.

كنت أراه فى موقفه هذا مهيباً عالى المقام ؛ كيف لا وهو يناجى ربه بهذه اللغة التى تصل ! .

كيف لا وهو يستأذن فى العودة لأهله وبلده ، ويجهش صوته بالبكاء ، وتنحدر دموعه عند ذلك كأن لسان حاله يقول . . . لولا أهلى وولدى ماتركت بابك .

وأتممت دعائى وانسحبت ، تاركا لصاحبى أن يتم دعاءه الصامت ، فقد غلبه البكاء وخنقته العبرة لفرط ماشعر به من مرارة فراق البيت العتيق .

وألفيت نفسى أؤمن على دعاء البدوى ، وعلى دعاء كل مسلم ، متمنيا لنفسى مثل ما كان يدعو به ذلك البدوى الساذج ؛ فلقد كان أجمل ماسمعت من دعاء ؟



لا يجتمعان ....

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » .

(مسند أحمد عن أبى هريرة)

ما رأى العلماء ؟

مسلم يكتشف الفاصل المغناطيسي

«الرجل الذى تقدمه «المسلمون» اليوم إلى قرائها رجل عرفناه وعرفه قومه فى فلسطين وعمان بالورع الشديد وأصالة الرأى . وقد حاول الإنجليز أثناء الانتداب أن يستولوا على اكتشافه ،فاستعصم وأبى عليه إيمانه أن يمين عدوا ... وهاهو ذا يمد يده إلى المسلمين » .

التحرير

اشتغلت من قديم بالبحث لإيجاد آلة تدور دون استخدام أية قوة معروفة ، وقد توصلت والحمد لله بعد جهد طويل فى مدة تزيد عن العشرين عاماً إلى استخدام قوة المغنطيس الثابت بنفس الطريقة التى يستخدم بها التيار الكهربائى لإدارة الآلات .. إذ أن التيار الكهربائى يجعل من بعض قطع الماتور الكهربائى حديداً مغنطيسياً مؤقتا فيجذب بعض أجزاء الآلة ، ثم يقطع التيار عن تلك القطعة ، ثم يعود وهكذا إلى أن تكون الحركة فى جميع الآلات الكهربائية التى تدور بوساطتها المراوح والترامات ... إلخ ولكننا نخسر بدل هذه الحركة تياراً كهربائيا . وأما فى الآلة الجديدة هذه فإننا نتمكن من إدارتها بواسطة فصل المغنطيس الثابت ووصله حينما يجذب أجزاء الآلة ويتركها ، فتتشكل الحركة التى يمكننا أن ندير بها أية آلة كما تدور بالتيار الكهربائى ..

ولكننا لا نخسر شيئا فى هذه الحركة لأن قوة المغنطيس الثابت لا تزول منه إلا بالطرق أو الإحماء فى النار ، وذلك بعيد .

وكنت فى بادئ الأمر أظن أننى أول من فكر فى استخدام قوة المغنطيس الثابت ، ولكنى علمت بعد ذلك أن علماء كثيرين قد فكروا ، ولكنهم لم يهتدوا للسر الذى هدانى الله تعالى إليه .

قال لانجسدورف العالم الإنكليزى المعاصر فى « كتابه الكهرمغنطيسية » فى باب قابلية الانعزال : « إننا لو توصلنا لإيجاد الفاصل المغنطيسى لحصل انقلاب عظيم فى عالم الاختراعات والكهرباء » .

وإن اختراعى هذا لا يوجد فيه شىء جديد إلا السر الذى يجعل المغنطيس يترك الحديد بعد جذبه ثم يجذبه ثم يتركه الخ . . وهو الفاصل المغنطيسى الذى عناه لانجسدورف بقوله ذاك . .

ومما يجعل هذا الاختراع ذا أهمية عظيمة — إن شاء الله — هو وجود المغنطيسات القوية فى هذا العصر ومنها (الألنكو) وقد نشرت عنه مجلة «راديو كرفت» الأميركية فى عددها الصادر فى يونيو سنة ١٩٤٥ صحيفة (٦٠٠) « إن هذا المغنطيس الحديث تستطيع القطعة منه أن تجذب أكبر منها ب (٤٤٥٠) مرة من وزنها » .

فعلى هذا لو أخذنا من هذا المغنطيس قطعة بقدر حجم ماتور السيارة ، ثم استخدمنا فيه هذا السر الجديد لأمكننا أن ندير أكبر باخرة فى البحر دون أن نخسر عليها أية مادة من الوقود .

وفى اعتقادى لو أن هذا الاختراع وجد قبل الحرب الأخيرة لما نشبت ؛ لأن أسبابها كانت فى الغالب المنافسة على امتلاك منابع البترول ، وهذا الاختراع سيوفر على العالم ملايين الأطنان من البترول فى كل يوم . . .

إنى رجل فقير ، ولولا ذلك لسجلت الاختراع بنفسى ، ولكننى على استعداد تام للاتفاق مع أية حكومة مسلمة أو شركة مسلمة بالشروط المتعارف عليها دوليا إزاء كل اختراع جديد ، وسأفضى لها بعد ذلك بالحقيقة العلمية التى اكتشفتها ؟



استدراك

نرجو القارىء الكريم أن يصحح الآية الكريمة التى جاءت فى السطر السادس من الصحيفة العاشرة فى العدد السادس هكذا: « بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ..... »

التحرير



تونس

لسماحة السيد « محي الدين القليبي » الزعيم التونسى

لا يمكن أن تحل المشكلة التونسية بمفاوضات ثنائية ، لأنه لا يوجد تكافؤ ولا تعادل بين الطرف التونسى والطرف الفرنسى ؛ فالجانب الفرنسى يمثل شعبه وحكومته تمثيلا ديمقراطيا صحيحا ، ويملك حريته الكاملة فى اختيار الخطة التى يريدها فى المفاوضات والعروض التى يقدمها ، ووراءه إلى جانب ذلك القوة وسلطانه القاهر على الجانب التونسى المقابل الذى لا يملك شيئاً مما تقدم . وفى المفاوضات التونسية الفرنسية الأخيرة التى نشأت عنها الحوادث الدموية فى تونس أعطت فرنسا للعالم صورة للمفاوضات الثنائية التى تريدها وتريد أن يحل بها المشكل التونسى ، وقد تقدمت فيها إلى الجانب التونسى بعروض نتج عن رفضه لها، وإحالة الخلاف على المنظمة الدولية التى وضعت للفصل فى مثل هذه الخلافات أن أقالت فرنسا الوزارة التونسية التى هى الجانب الثانى فى المفاوضات جبراً ، وأرسل أفرادها إلى المعتقلات، وجاءت بوزارة أخرى بدلها وقدمتها لجلالة الملك ليوافق عليها، أو تقيله هو الآخر ، وترسل به إلى المعتقل كما فعلت بابن عمه من قبل جلالة الملك محمد المنصف الذى مات فى منفاه ؛ فالوزارة التى اختارتها فرنسا اليوم هى التى ستفاوض فرنسا . (أو جورج الخامس هو الذى سيفاوض جورج الخامس كما قيل فى مصر) وإذا لم تقبل هذه الوزارة عروض فرنسا كان مثالها كمثال سابقتها :الخلع والاعتقال .لذلك فإن الأمة التونسية تعارض تمام المعارضة فى إجراء مفاوضات ثنائية مع فرنسا ، وتطالب بأن تقع المفاوضات تحت إشراف الجامعة العربية والجبهة الأسيوية الأفريقية من منظمة الأمم المتحدة ؛ لأن هذه الجبهة فى تقديمها للشكوى أصبحت طرفا فى النزاع ، ثم إن هذه المفاوضات يجب أن تجرى على أساس الاستقلال التام لتونس ، لا بصفة مطلقة خالية من تحديد الهدف ، ولا حول إصلاحات داخل نطاق الحماية من شأنها الوصول بتونس إلى الحكم الذاتى والاستقلال الداخلى على مراحل مع بقاء الاحتلال . فحل المشكلة بهذه الصورة مستحيل أيضاً ؛ لأن معاهدة الحماية وملحقها (معاهدة باردو ١٨٨١ وملحق المرسى ١٨٨٣) تنص على أن الاحتلال مؤقت يزول باستتباب الأمن فى البلاد ، وأن الدولة التونسية التى هى جانب فى العقد متمتعة باستقلالها الداخلى وبعض نقاط فى الخارج أيضا ، وأن مهمة فرنسا لا تتجاوز مراقبة تنفيذ المعاهدة والإشارة بإصلاحات عدلية ومالية

وإدارية يجريها جلالة الملك . إلا أن فرنسا لم تحترم المعاهدة التى أملتها بنفسها وأجبرت ملك تونس على إمضائها تحت حراب جندها الذى كان يحيط بقصره ، ولم يمنح من الوقت للتأمل فى تلك المعاهدة واستشارة رجال حكومته . وتغيير معنى الحماية عند فرنسا من الرقابة والإرشاد إلى الحكم المباشر للبلاد وإقصاء السلطة التونسية عن مقاعد النفوذ ، فضلا عن أن المقيم العام الفرنسى استصدر فى بداية عهد الحماية مرسوما ملكيا ينص على أن المراسيم الملكية التى يصدرها جلالة الملك لا تكتسب الصبغة القانونية ولا تصير نافذة المفعول إلا إذا اطلع عليها ممثل فرنسا ووافق على نشرها بالجريدة الرسمية ، وإلا فهى ملغاة. ولو كان الملك فى هذه الظروف يملك حرية التصرف لما أصدر هذا الحجر على نفسه ، ولما حول السلطة المخولة له إلى ممثل فرنسا . ثم تطورت الحالة تطوراً آخر فأضحى مديرو الإدارات التونسية ورؤساء المصالح كلهم من الفرنسيين ، وكذلك حكام الجهات ، عمال جلالة الملك فى المملكة هم تحت سلطة المراقبين المدنيين الفرنسيين الذين هم نواب المقيم العام. والوزارة التونسية تحت سلطة الكاتب العام للحكومة والذى هو فرنسى أيضا ، وهو تحت سلطة المقيم العام. وبذلك لم يبق للسلطة التونسية من نفوذ ، ولا للحكومة الوطنية من وجود ، وأصبحت البلاد واقعة تحت الحكم الفرنسى المباشر الذى يتضح تماما فيما وقع أخيراً لما طلب ممثل فرنسا من جلالة الملك إقالة الوزارة وامتنع جلالته من ذلك ، حوصر قصره بالجند المدجج بالسلاح وهدد بأن يقتحم قصره ، وأن يخلع جلالته ويرسل إلى المعتقل ، وحُل ديوان جلالته رغما عنه ، وأقالوا رئيس الديوان الذى هو أكبر أنجاله ، وألزموه الإقامة فى قصره . وتشمل حركة الاضطهاد هذه الوزارة التونسية بما فيها جلالة الملك ورجل الشارع ؛ إذاً فهناك إلى جانب مشكل شرعية الحماية وملاءمة بقائها فى هذا العصر كوسيلة علاقة بين أمتين مشكل آخر ، وهو فهم الحماية بالنسبة لكل من الطرفين ، والبون الشاسع بين نصوصها التى التزمتها فرنسا ، وبين ما تقوم به فى البلاد الآن. ألم تلتزم فى المعاهدة بأن تحمى جلالة الملك وعائلته من كل اعتداء داخلى أو خارجى ، وأن تحمى بلاده كذلك ؟ فمن الذى يحميه منها الآن وهى تعتدى عليه وعلى حكومته كما بينا ؟



فالإصلاحات مهما اتسع نطاقها لا تحل هذا المشكل ، والاستقلال الذاتى على مراحل لا يقصد منه الفرنسيون إلا ربح الوقت ؛ إذ من الذى يقدر مدى هذه المراحل ؟ وهل يترك الفرنسيون للشعب حرية العمل لقطع المراحل والوصول إلى أهدافه ؟ فالمشكلة فى الأصول لا فى الفروع . فالمعاهدة تنص على أن الاحتلال وقتى ، وفرنسا تصرح اليوم بأنه حالة دائمة ، والمعاهدة تنص على أن النفوذ يجب أن يكون بيدها ، وأنها تشرك

التونسيين فيه شيئا فشيئا (سياسة المشاركة) . وأمثال هذا كثير من نقاط الخلاف التى لايمكن أن تحل إلا بعرضها على مايجرى فى العالم الآن من تطور فى العلاقات الدولية .

لقد عرضنا قضيتنا على منظمة الأمم ، وكان الجند الفرنسى يقوم بحركة قمع قاسية؛ يقتل ويعتقل الآلاف ، وينسف الدور والمساكن ويتلف ما فيها ويبث الروع ، وكان الناس يظنون أن مجلس الأمن سيكف العدوان ، ولكنه قرر عدم إدراج القضية فى جدول أعماله نظراً لموقف أمريكا التى كان لها موقف مماثل من قضية مراكش من قبل. وقالت هذه الحكومة : إنها ترمى من وراء التصويت لفائدة فرنسا أن تمنحها الوقت لتتم حركة القمع التى ابتدأت فيها ، وقال وزير الخارجية الأمريكية : إن تونس لم تنضج بعد ، ولا تستحق الاستقلال، وهو يشير بذلك إلى أن حل المشكل التونسى يجب أن يتم طبق رغبة فرنسا من مفاوضات ثنائية ، وعلى قاعدة الإصلاحات لا على قاعدة الاستقلال التام ؛ لأن تونس لايوجد فيها مطار للملاحة كما فى طرابلس ، والذى بفضله كانت طرابلس أجدر من تونس بالاستقلال .

لقد عرضنا قضيتنا على مجلس الأمن ، فرفض قبولها بأغلبية الأصوات ، وظن الفرنسيون أنهم انتصروا علينا بذلك، ولكننا نحن الذين انتصرنا عليهم وعلى حلفائهم ومناصريهم؛ إذ بينا للعالم بوضوح تام — بعرض قضية تونس ومراكش — ماهية منظمة الأمم ، وماهية المبادىء التى تقوم عليها ، وماهية الديمقراطية التى تتغنى بها الدول الكبرى ، وماهية قيمة وعود هذه الدول التى كانت تقول أثناء الحربين العالميتين : إنها تحارب من أجل حرية العالم وسلامه ، ولمست الدول الصغيرة فى هذه المنظمة وعلى الأخص الدول المتكتلة فى جبهة آسيا وأفريقيا أن وجودها ضمن المنظمة لخدمة أغراض الدول الاستعمارية الكبيرة ، لا لتحقيق سلام العالم وأمنه وسيادة المثل العليا فيه . ثم إن العالم كله كان معنا إثر ذلك القرار ، ولم يكن فى جانب فرنسا ولا أمريكا وإنجلترا ، وقضيتنا أصبحت قضية العالم الحر وقضيه آسيا وأفريقيا ، ولم تكن لتحصل على هذا لولا ذلك القرار ؛ حتى إن الشعب الأمريكى والإنجليزى والتركى قاموا بحملة ضد حكوماتهم وأنكروا عليها موقفها المضاد لحكومة تونس. والعبرة بما سينشأ من بعد وعندها يتبين النصر لمن ، وهل سيسود العالم مبادىء القوة المسلحه ، أم مبادىء العدل والسلام ؟

مع العارفين

خالد بن معدان

فرغ الناس من صلاة العشاء ، وكانت صلاة وضيئة ترف بالنور ؛ فإن إمام الناس كان التقى العابد أيمن بن سعيد ، وقد فتح الله له الليلة مغاليق سورة القتال فى الركعة الأولى وسورة الفتح فى الركعة الثانية فلكأنهما نزلتا الآن من رحاب قدس الله ، ولكأن فى صوت أيمن كهرباء قاهرة سرت رعدتها فى مئات المصلين خلفه وملأت المسجد كله نوراً ورهبة ..

وخرج المصلون من المسجد فى نشوة عالية ، وانتشروا فى سكك المدينة يؤمون بيوتهم ، إلا ثور بن يزيد فقد سلك الطريق المؤدية إلى المقابر ثقيل الخطى شارد الفكر يكاد يترنح مما يجد .. وما لبث أن أدركه سفيان بن عيينه .

— السلام عليك ورحمة الله يا ثور .

— وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سفيان .

— إلى أين ؟

— إلى الدار الآخرة أشم ريحها يا ابن عيينه ، وأزور عند أعتابها الأحبة .

— وما حملك على ذلك الليلة وأهلك المرضى ينتظرون أوبتك ؟

— وماذا أفعل لهم .. هيه . . . جزى الله خيراً أيمن بن سعيد ، لقد أذهب عنا همّ الدنيا بهم الآخرة ، وذكّرنا بأخ عزيز حبيب كنا فى صحبته سنوات طويلة فى مثل ما كنا من هذه الصلاة الوضيئة ، وكأنما ألقى الله على لسان أيمن سورة القتال ، حتى تكمل نضارة الذكرى . .

— كيف ؟ .

— هذه الآية الكبيرة ياسفيان : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . ما أكثر ما كنت أسمعها من « خالد بن معدان » رحمة الله عليه ، كان يعيش بها فى حقائق كبيرة يمسى بها ويصبح ، وكان يكررها فتخرج من فمه العذب مشرقة مفسّرة مليئة بالأسرار .. ما أكثر ما سمعته يقول : « مامن عبد إلا وله أربع أعين : عينان فى وجهه يبصر بهما أمور الدنيا ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمور الآخرة ؛ فإذا أراد

الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين فى قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب ، وهما غيب ، فآمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه على ما هو عليه » ثم يقرأ : « أم على قلوب أقفالها » .

— لله هؤلاء الصالحون يُذكرون بذكر الله ، ويذكر الله بذكرهم .

— لو أنك صحبته ياسفيان ! لقد كان سماء تعج بالملائكة والنور .. كانت الكلمة تخرج من بين شفتيه ، فأحس بها أحياناً كالنجم الدرى أشرق فجأة على سار مكدود ضل طريقه فى صحراء شاسعة . . . وأحس فيها أحياناً بمثل ومض البرق وزمجرة الرعد فينخلع لها قلبى .. لا أزال أذكره — رحمه الله — وهو جالس بيننا بجلبابه الأبيض مشرق الأسارير ندى الصفحة يسكب فى قلوبنا النور وهو يقول : « قال الله تعالى : إن أحب عبادى إلىّ المتحابون بحبى ، المعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم » . . . ولا أزال أذكر غضبته فى الحق يوماً ثم عظته لنا بعدها يربينا تربيته العالية . . . قال : « من التمس المحامد فى مخالفة الحق رد الله تلك المحامد عليه ذما ، ومن اجترأ على الملاوم فى موافقة الحق رد الله تلك الملاوم عليه حمداً » . لقد كانت كل كلمة من هذه الكلمات كأنها السهم الرائش يسدده إلى معانى الضعف فى كل واحد منا ، فيرديها معنى . . معنى . .



— ومن أين له كل ذلك ياثور ؟

— ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . . ثم هى بركة صحبة الأبرار ياسفيان ، فقد صحب خالدُ معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا عبيدة بن الجراح وأبا ذر ، وروى عنهم .. رضى الله عنهم وأرضاهم .

إن أمثال خالد ياأخى قلاع هداية تنصبها رحمة الله للناس ، وتأبى عزة الله مع أحدهم أن يعرف الناس كيف صنع . . إلا أنهم يرونه قائماً شامخا بسر الله فيه ، فلا يملكون بين يديه إلا أن يخشعوا لله الذى صنعه . .

لقد كان خالد يا أخى يتحدث عن الشيطان ؛ فكأنما هو ممسك به يعصره ويحطم ضلوعه .. سمعته مرة يقول : « ما من عبد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره ، لاو عنقه على عاتقه ، فاغر فاه على قلبه ، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس » .... فكأن الشيطان والله تكشف أمامى بكل عوراته ، وكأنى أوتيت بهذه الكلمات أسلحة النصر جميعاً فى مغالبته . .

وكان خالد يحبب إلينا فعل الخير ،فيأخذنا إلى آفاق عالية ، ويصوره لنا فى الصورة التى يرق بها القلب ويخفق . . أقسم لكأنى لا أزال أسمعه يقول : « من قال سبحان الله وبحمده صادقا بها قلبه جعل الله لها عينين وجناحين ثم طارت تسبح مع المسبحين » . وتطرب يا سفيان حين تراه فى هذه الآفاق العالية قريبا رحيما ، يقدر الحقيقة فى الثوب الناعم كما يقدرها فى الثوب المرقع .. سمعته مرة يقول : « إن الله ليشكر للعبد إذا قال الحمد لله ، وإن كان على فراش وطىء وعنده شابة حسناء » .

* * *

وكانا قد أدركا المقابر وسلما على أهلها ، وجعل ثور يدور بسفيان بينها حتى وصلا إلى قبر خالد بن معدان فوقفا ماشاء الله أن يقفا ، وذرفا من الدمع ماشاء الله أن يذرفا ، ثم عادا أدراجهما وثور يتمتم :

— هنيئاً لك يا خالد محياك ومماتك . . لقد كنتَ دائما شديد الشوق إلى الرحيل ، رائع الصدق فى ذكر أحبابك الذين سبقوك إلى ربك . . لا أزال أسمع صوتك الحلو يتردد فى أذنى وأنت تستقبل فراشك كل ليلة فتسميهم واحداً واحداً وتقول : « هم أصلى وفصلى ، وإليهم يحن قلبى ، طال شوقى إليهم فعجل ربى قبضى إليك » . .

هيه يا سفيان . . . . . متى الرحيل ؟ !!

فى المحراب . . .

سبِّحى نفسى وصلِّى عند سطو العادياتِ

وإذا القلب تنزَّى من تباريح الحياةِ

رقرقى القلب دموعا واسكبيها فى الصلاةِ

فإله الناس يصغى للنفوس الباكياتِ

لو تصلى . . . فلنصل

ناسك الزمن ...

للاستاذ محمود حسن إسماعيل

أضيفٌ أنتَ حلَّ على الأنامِ ... وأقْسمَ أن يُحيَّا بالصِّيامِ ؟

قطعتَ الدهرَ جوَّاباً وفيًّا ... يعودُ مَزارَه فى كلِّ عامِ

تُخيِّمُ ... لا يَحُدُّ حماكَ ركنٌ ... فكلُّ الأرض مهدٌ للخيامِ

نسخْتَ شعائرَ الضِّيفانِ ، لمَّا ... قنِعْتَ من الضيافةِ بالْمقامِ

ورُحْتَ تَسُنُّ للأجواد شرْعاً ... من الإحسان علْوىَّ النظامِ

بأن الجُودَ حِرمانٌ وزُهْدٌ ... أعزُّ من الشراب أو الطَّعامِ ..

* * *

أشهرٌ أنتَ أم رؤيا مَتابٍ ... تألَّقَ طيْفُها مثلَ الشِّهابِ

تمرَّغَ فى ظلالكَ كلُّ عاصٍ ... وكلُّ مُرجَّسٍ دَنِسِ الإهابِ

فأنتَ مُجيرُ الآثام .. تجرِى ... فتلْحقُها بأحلام العَذابِ

تراكَ شفيعَ توْبتِها ، فتخْزَى ... وتُوأَدُ تحت أجْنحةِ الشَّبابِ

وأنتَ مَنارةُ الغفرانِ ، يأوِى ... إليكَ اليَائسون من المتابِ

وعند الله سُؤْلُكَ مستجابٌ ... ولو حُمِّلْتَ أوْزار التُّرابِ ..

* * *

وقفتَ خُطاك عند البائسينا ... فكنتَ لِليْلهم قمَراً مُبينا

تُساق إليك أمواج التَّحايا ... فتدفعُها لباب المُعْوزينا

فكم آهاتِ محرومٍ حداها ... إليك البؤسُ ، فانقلبتْ رنينا

فأنتَ مفزِّعُ البُخّالِ .. تجزى خُطاكَ عَلَى حِجارتِهم مَعِينا ..
وأنتَ مُلقِّنُ الأيدى نَداها ومُكسِبُها التراحُمَ والحنينا
يخافُكَ كلُّ قارونٍ شحيحٍ فيَخجَلُ أنْ يرُدَّ السائلينا ..

* * *

ومنذ تَهِلُّ تَرْهَبُك الذّنوبُ وتَختشِعُ السرائِرُ والقُلوبُ
وتَفزَعُ أنْ تقابلَكَ المعاصى فتَهْرَعُ ، أو تُقَنَّعُ ، أو تَذوبُ
ويُجفِلُ أن يراكَ أخُو هَواها ولو قتلتْ مشاعِرَهُ العُيوبُ
كأنكَ فارسُ الآثامِ ، تبدو فيَصْعَقُها مهَنَّدُكَ الغَضوبُ
كأنَّ بكفِّكَ البيضاءَ سرًّا من النجْوَى ، تُكتِّمُهُ الغُيُوبُ
تُجابِهِ كلَّ غيّانٍ عَنيدٍ فيَكْتتِمُ الغوايَةَ .. أو يتوبُ ..

* * *

جعلتَ الناسَ فى وقتِ المغيبِ عبيدَ ندائكَ العاتى الرهيبِ
كم ارتقبُوا الأذانَ كأنَّ جُرْحاً يُعذِّبُهم تلَفَّتَ للطَّبيبِ
واتْلعتِ الرِّقابُ بهم ، فلاحوا كرُكْبانٍ عَلَى بلدٍ غريبٍ ..
عُتاةُ الإنسِ ! أنتَ نَسختَ منهم تذلُّلَ أوْجُهٍ ، وضَنَى جُنُوبِ
فيامَنْ لُقمةٌ وَحَفيفُ ماء يقلِّبُ رُوحَه فوق اللّهيبِ ؟
علامَ البَغْىُ والطُّغْيانُ !! إنّى كفرْتُ بمنطقِ الدنيا العجيبِ ..

* * *

تلفَّتْ للمَآذِنِ حالياتٍ كحُوريَّاتِ خُلدٍ سافراتِ
تَفُوحُ مَباخرُ النُّسّاكِ منها فتحسَبُها غُصوناً عاطِراتِ
تلألأُ حولها أطواقُ نُورٍ مُضيئاتٍ بحُبِّكَ هائماتِ
كأنكَ حاملٌ وَحْياً إليْها وقفْنَ لسحرِهِ متلهِّفاتِ

إذا صاح الأذان بها ، أرنّتْ بإلْهامٍ كَمَوْج البحر عاتِ
يذَكِّرُ بالهداية كلَّ ناسٍ وَيوقظُ كلَّ غافٍ فى الحياة ..

***

وهذا المعجزُ العالى الرَّخيمُ أذانُ اللهِ ، والذِّكْرُ الحكيمُ
تَلاَهُ فى سكون الليل تالٍ فكاد لهوْلِهِ تَهْوى النجومُ
نداءٌ تفزع الأفلاكُ منه وَتخْشَعُ فى مسارِبه السَّديمُ
عَلَى سَمْعِ الهُداةِ يضُوع عطراً وَتُقْذَفُ منه لِلْغاوِى رُجومُ
أصاخ الكونُ مسْحوراً إليه وَخرَّ لبأسِهِ الأزلُ القويمُ
تنزَّلَ فوقَ صدركَ من عُلاهُ بشيرُ الوَحْى ، والدينُ القديمُ !

***

سَلاماً نَاسكَ الزَّمنِ القَوىِّ من القَلْبِ الحزين الشاعِرِىِّ !
حَملْتُ إليكَ أشواقى وَسِرِّى لِتَحملَها إلى الأفُقِ العَلِىِّ ..
تَمائمىَ التعبُّدُ بالأغانى عَلَى نغمات قيْثارٍ شَقِىِّ
أمُرُّ بها عَلَى زَمنى غريباً كطيْرٍ تاهَ فى ظُلَمِ العَشِىِّ
وَأعزفُ للصَّبائح والأماسى فيَنْتفِضُ الغناءُ لغير حَىٍّ ..
كأنِّىَ ما ذرفْتُ أسَى زَمانى ولا أفْضى صَداىَ بأىِّ شَىٍّ !!

***

طَلَعتَ منوِّراً فوقَ العبادِ .. فأيقظْ مَنْ تشبَّثَ بالرُّقادِ
وَقُلْ للشَّرقِ : إنَّ الكوْن يمشى عَلَى سُبُلٍ مَغيَّبةِ الرَّشادِ
فخُذْ لزمانِكَ الزَّادَ المُرَجَّى من الخُلق القَويم والاتحادِ
ولا يُوقفْكَ فى التيارِ هوْلٌ فنارُ الهولِ ، نورٌ للجهادِ
لقد ملّتْ تَقَلّبَنَا الليالى عَلَى وَضَرِ التَّنَعُّم وَالفساد ..
شدا لَكَ بالأذان خميلُ مصرٍ فقُمْ .. وانْشُرْ صداه على البوادِى

***

فى جوّ "إقبال" شاعر الإسلام

لشاعر اليمن القاضى محمد محمود الزبيرى

احتراق . . .

يطلب الوجد للحريق وللتعذيب منى أضعاف لحمى وجلدى
ويريد الهوى وقوداً من الأعصاب لم يبق ذرة منه عندى
قد لعمرى أفلست من كل صبر كنت أحيا به ومن كل جهد
قد عصانى قلبى وجنَّت أحاسيسى وثارت نفسى مع السكون ضدى

نحن وهم . . .

فى أغانى القيثارة الأعجميه   لفحات العواطف العربيه
وبروح القداسة الحرميه   سر توحيد الأمة العالميه
ليس للغرب وحدة فكريه   فهو فى فرقة وفى فوضويه
ما نبى كعبة له أو نبيه   تلتقى عندها نهى المدنية

رأس مال الرجل المسلم

اذا لم تكن ذا نهىً واعيه   وذا عزمة صلبة ماضيه
ولم تدر سر الحياة العميق   ولم تر أغوارها النائيه
فإن الفؤاد الزجاج البليد   سيحطم فى الصخرة العاتيه

* * *

هنا موضع القوة الطاغيه   هنا موطن الضربة القاضيه
فلا تذكرن إذا ما نزلــت للحرب أنغامك اللاهيه
وما رأس مالك منك سوى   دم القلب والهمة العاليه
وإن الحيـــاة دم عاصف   وليست شذى المسك والغاليه
إذا ما ادخرت المياه العذاب   وأترعت أكوابها الصافيه
ولم تدخر لك ملء العروق   دماً كدم الأسد الضاريه
تمت ظمأ فى حياة جرت   على الدم عابثة قاسيه

إخواننا في الصين

« لعل أصح ما كتب عن المسلمين في الصين هو ما جاء في تعليق الأمير شكيب أرسلان — رحمه الله — على كتاب حاضر العالم الإسلامي . وقد رأينا أن ننقل مقتطفات نافعة منه نتبعها بما توفر لدينا من معلومات جديدة » .

التحرير

ليس من المعروف على وجه التحديد كيفية دخول الإسلام الصين ولا تاريخ ذلك ، وإن كان يقع حوالى القرن السابع أو الثامن الميلادى .

ويظهر من كتب العرب أن أول صقع عرفوه من بلاد الصين هو « كاشغر » ... وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة ، إذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهلى رضى الله عنه فى خلافة الوليد ابن عبد الملك الأموى ، قال ابن الأثير الجزرى فى تاريخه : إنه سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند ، فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه ، ومضى إلى فرغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر ، وهى أدنى مدائن الصين ، فغنم وسبى وأوغل حتى بلغ قرب الصين ، فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلى رجلا شريفاً يخبرنى عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى ، وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم : إذا دخلتم عليه فأعلموه أنى قد حلفت أنى لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبى خراجهم ، فساروا وعليهم هبيرة ، فقال لهم ملك الصين : قولوا لصاحبكم ينصرف ، فإنى قد عرفت قلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم . قالوا : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل لسنا نكرهه ولا نخافه ، وقد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية . فقال : فإنا نخرجه من يمينه ، ونبعث تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث إليه بعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ، ثم أجازهم وبعث بما ذكر إلى قتيبة فقبل الجزية ، وختم الغلمان وردهم ، ووطىء التراب ...

والظاهر أن الإسلام ما برح ينتشر فى آفاق الصين حتى بلغ عدد أهله عشرات من الملايين . زعم سكاتشوف أنهم عشرون مليوناً فقط ، وذهب الأكثرون إلى أن عددهم فوق هذا بكثير ، وأحصاهم صاحب كتاب « المحمدية فى الصين » خمسة وعشرين مليونا ، وزعم بعضهم أنهم أربعون مليونا ، وقال آخرون إنهم يربون أيضاً على ذلك ، وإن السواد الأعظم فى ولاية « كانسو » هو منهم وهناك مدينتا سالار وكنكيابو محطا رحال الطلاب والمتفقهين من جميع أقطار الإسلام الصينية ، وقد أحصى عدد المساجد فى بعض مدن « كانسو » فبلغ مئات ، وهو ما لم يعهد إلا لمواصم الإسلام الكبرى مثل الآستانة ودمشق والقاهرة ، وأن كثيراً من ولايات الصين الشمالية ثلثها من المسلمين ، وهم أهل التجارة والكد والعمل ، ولذلك تجد حالتهم أجمل وأزين من حالة بقية الصينيين .

وكان المسلمون يداً واحدة مع أبناء وطنهم البوذيين والكونفوشيوسيين حتى التمست الدول

فى وب البوكس من السلطان عبد الحميد إرسال وفد من قبله ينصح مسلمى الصين باسم الخلافة أن يجنحوا إلى السلم ، وحتى أثنى الدكتور « صن يات سن » الزعيم الجمهورى الكبير على مسلمى الصين فى الثورة الصينية بقوله : « إن الصينيين لن ينسوا أبداً نصر إخوانهم المسلمين لهم فى سبيل تأييد نظام البلاد واستقلالها وحريتها » .

وقد وقعت لمسلمى الصين فى هذا القرن مع أهل تلك المملكة حروب تشيب من هولها الأطفال ، إذا استقصى خبرها المؤرخ لم تكفه فيها المجلدات ، وملخصها أن أول ثورة حصلت هناك هى فى بلاد يونان بسبب عملة من الفريقين كانوا يعملون فى أحد المعادن فأسفر القتال عن الغلب للمسلمين ، وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغه ، فاستنفروا إليهم الوثنيين قاطبة ، ونادوا باستئصال شأفتهم وتعفية آثارهم ، وذلك فى يوم معين من شهر مايو سنة ١٨٥٦ فاستشعر المسلمون ذلك قبل وقوعه وأخذوا له أهبتهم ، وجروا واستلأموا ، فلما وقعت الواقعة توفرت الطائلة لجهتهم ، ولم تنل الحكومة منهم مأرباً إلا فى القرى التى مسلموها قليلون ، وتكررت الوقائع وصمد الفريقان بعضهم لبعض من أكثر جهات البلاد ، والمسلمون فى غلبة وظهور حتى افتتحوا عنوة مدينة « طالى فو » وهى منيعة حصينة من الطراز الأول من حصون الصين ، وفتحوا منها طريقاً إلى برمانيا يسربون منه إليها الميرة والسلاح ، ثم استولوا على مدينة « يونان فو » حاضرة البلاد ، ومضى على دولتهم هذه وهبوب ريحهم بتلك الأرض ثلاث عشرة سنة والصين لا تزداد أمامهم إلا انخذالا حتى أيقنت أن لا قبل لها بقهرهم بذباب السيف فمالت إلى إعمال الحيلة والدسائس ، وجاذبت زعماءهم حبال الرشوة ومنتهم الأمانى ، وأدرت عليهم العطايا الوافرة سراً ، وولتهم الأعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم وحلت بنفثات سحرها عقدة جامعتهم ، بل استمالت بعض رؤسائهم إلى أن وقفوا فى صفها يقاتلون بنى ملتهم ؛ فبديهى أن تنحل بعد ذلك عصبتهم وتفشل ريحهم ، وأن يزرع الصينيون فيهم الانتقام حتى يهلك منهم ثلاثون ألفاً بحد السيف ويلحق أقوام منهم بمملكة برمانيا .



أما فى شمال الصين فاستطار شرر الفتنة سنة ١٨٦٠ وذلك فى « هواتشيو » شرق « سينغان فو » وكانت الدائرة على الصينيين وتأثرهم المسلمون فى كل سهل وجبل يقتلون ويسبون ولكنهم عجزوا عن دخول « سينغان فو » لمناعة أسوارها ثم امتد لهب الثورة فى تلك البلاد ونادى منادى الإسلام بالثارات ! فقاموا قيامة الرجل الواحد وفر الصينيون والمغول من أمامهم ، وانهال المسلمون فى أثرهم يشلونهم شلا ويستقصونهم أسراً وقتلا ، وامتلأت ولايات « شانسى » و « كانسو » عيثاً ودماراً ، والتجأ الوثنيون إلى الكهوف والمغاور وظنوا أنها مانعتهم فلم تكن بمانعتهم ، واشتمل الخراب على تلك البلاد حتى لم تبق قرية إلا خوت على عروشها ، ولم يذر المسلمون إلا على المسيحيين ولم يبق عامراً من تلك الجهات إلا الأمصار الكبيرة بما أدير عليها من سياج الأسوار ، وقدر عدد الذين هلكوا فى هذه المعمعة بالملايين . وحدث بعض مؤرخى الافرنج أن من المسلمين من بلغ منه الحنق أن قتل أولاده وامرأته ليتوفر على الجهاد . والحاصل أن هذه الفتنة كانت من أكبر الفتن واستمرت خمسة عشر عاما كاد أن ينقطع أمل الصين

فى خلالها من استرداد البلاد ، ولكن لم يلبث الشقاق أن دخل بين المسلمين فأدخل عليهم الوهن وتشظت عصاهم قطعاً فنالت منهم عساكر الأمبراطور واسترجعت « الشانسى » ثم « الكانسو » ثم معاقل « تيان شان » وبددت شمل الباقين من الثوار فى « دز » و « نفاريا » ولكنهم لايزالون إلى الآن أهل صولة وشوكة وشأنهم فى ازدياد وجدهم فى صعود ، ومنهم كثير من الحكام وقواد الجيش . وكثير من المؤرخين الأوربيين يظنون أن لهم وحدهم مستقبل السلطان فى الصين .

وقد بعثت الدولة الروسية مرة بعثاً علمياً جال فى الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل أمورها فكان من جملة ما قرره تحذير لروسيا من مستقبل الإسلام فى تلك المملكة لأنه ينمو ويتقدم ، وإذا أخذ يوماً بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الأقصى انقلاباً عظيماً ؛ لأن الصين إسلامية ليست كالصين وثنية (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

أما حالة المسلمين الاجتماعية فهى كما هى فى سائر بلاد الإسلام ، والعمل إنما هو بالشرع الشريف على أن « تيرسان » يروى أن مسلمى الصين مضطرون فى أمر الزواج أن يتقيدوا بقانون المملكة الصينية ولو خالف الشرع ، ولا نعلم مبلغ ذلك من الصحة ، ويقول « أولون » إن الحجاب غير معهود عند نساء المسلمين فى الصين ، بل النساء يخرجن سافرات ، وهكذا يقول « غره نار » إلا أنه يستثنى من ذلك نساء الأغنياء ، وفى « هوتشو » يتنقب النساء المسلمات بنقاب أسود تحت الأعين . وعادة وضع القدم فى القالب لتصغيره معروفة عند المسلمين كما عند سائر الصينيين وفى « كانسو » يتنافس بها المسلمون أكثر من سواهم ، ويتزوج المسلم بالصينية بل يستحب أن يأخذ غير مسلمة لعل الله يشرح صدرها للاسلام ، ولكن لا يحل لمسلمة أن تتزوج بغير مسلم ، ومع التشديد فى منع ذلك يوجد حوادث مستثناة ، فإن الامبراطور « شيسين لونغ » كان متزوجاً بأميرة تركية مسلمة . أما العفة وطهارة العرض فهما محفوظتان عند المسلمين أكثر مما هما عند سائر الصينيين .

واحترام الآباء والأجداد معروف عند مسلمى الصين ، وتراهم يحفظون شجرات الأنساب كسائر أهل الصين ، ولا يوجد عندهم تفاوت فى الطبقات الاجتماعية إلا ما كان من تعظيم آل البيت وتمييزهم ، ولكن مسألة ادعاء النسب النبوى غير فاشية هناك كما فى سائر بلاد الإسلام لذلك كان عدد أصحاب هذه الدعوى قليل ، وكان منهم الزعيم الثائر ((ماهوالونغ)) . أما سحنة مسلمى الصين فهى فى الغالب كسائر أهل الصين ، وإنما يجد فيهم الرائى كثيراً من السحنات العربية والتركية بسبب المهاجرة ، وعلى كل حال فالسواد الأعظم من مسلمى الصين هم من السلالة الصينية ولغتهم هى لغة الصين وكتابتهم هى كتابة أهل الصين ، وإن كان يوجد فى لهجة نطقهم ما لا يخلو منه مكان من الاختلاف بحيث يعرف الصينى المسلم من الصينى الوثنى من لهجته ، ولا شك أن اختلاف الدين أوجد بين الصينى المسلم والصينى الوثنى تبايناً كبيراً ، فالمسلمون يرون أنفسهم أعلى جواً من الصينيين ، وهؤلاء يلقبون المسلمين باسم ((هوى هوى)) ، والمسلمون يكرهون هذا اللقب ويحبون أن يقال لهم ((باى شان)) أى أصحاب العمائم البيض .

وقد شدد فقهاؤهم عليهم فى أداء الزكوات فيجمعونها فى صناديق لكل بلد ينفقون منها فى شدائدهم ويسدون بها عوز محاويجهم فتجد المعدمين منهم قليلين ، ولهم بعضهم على بعض حنان ورأفة وحفيظة فيما بينهم وعلى عدوهم لا توجد فى الأمم التى تساكنهم ، وكذلك بسبب تجافيهم الأفيون وأنواع المسكرات تجد أجسامهم أحسن من أجسام غيرهم فهم يفوقون جيرانهم الصينيين صورة ومعنى .

وجميع المسلمين هناك يتميزون عن سائر الأهالى بملامحهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من النعرة والأنفة ما لا يلوح على سواهم ، وكلهم من أهل السنة والجماعة ، ولكنهم فى الفقه فئتان : الحنفية والشافعية ، وهم يكرهون جداً الاختلاط بالوثنيين ولا يزوجونهم .

ومن عادة مسلمى الصين أن يشتروا أولاد الوثنيين ويربوهم فى الإسلام ، روى ذلك « تيرسان » صاحب « المحمدية فى الصين » و « غرونارد Grenard » ، وقالت بعثة « أولون » إنها لما مرت من هناك كانت فى الصين مخمصة شديدة فكان الصينيون يبيعون أولادهم والمسلمون يشترونهم لأن المسلمين أيسر حالا من الصينيين ، وفى ثورة البوكسر قتل ألوف من المسيحيين ونهبت أموالهم وبيعت نساؤهم وأولادهم فاشترى مسلمو « نينغ هيا » عدداً منهم ، وهذا محقق لأن مطران مغولية كان يسعى فى استردادهم ...



***

وجاءنا حديثاً التقرير الآتى عن المسلمين فى الصين :

يبلغ عدد سكان الصين ٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة ومساحتها حوالى ١١,٠٠٠,٠٠٠ ميلا مربعا . وبالصين مايربو على عشر قبائل عدا القبائل الخمس العظمى : هان ، مانشوريان ، مونجوليان ، تيبتان ، Weighours .

وفى الماضى كان المسلمون فى الصين يضعون أنفسهم فى المحل الرابع بين القبائل الخمس العظمى . ولكن بعد أن تلاشى المانشوريان والهان والمونجوليان استقلوا عن الصين . وأصبح مسلمو الصين الآن فى المحل الثانى حسب ترتيب السكان مما زادهم أهمية عند الصينيين .

وحسب الإحصاءات غير الرسمية ، يبلغ عدد مسلمى الصين الآن ٢٥ مليونا وهم يضمون الهان والأتراك والحسك ، وال Weighouss وهكذا (ونحن نعنى « بالهان » أولئك الذين اعتنقوا الإسلام) .

وفيما عدا المقيمين منهم فى أواسط الصين Chiue Maiulnd فى أماكن منفصلة بعيدة فى حياة البداوة ، فإن غالبية المسلمين فى الصين مشتتون فى الشمال الغربى وفى وادى النهر الأصفر ، وهناك عدد لا بأس به يعيش فى وادى نهر يانجتسى Yangtze أيضاً والأقلون يعيشون فى جنوب الصين .

وقد اختلط مسلمو ال China Mainland بال Hans وحظوا بثقافة مشابهة لهم وأصبح كثير

منهم من رجال الأعمال وموظفي الحكومة والمدرسين وكبار « الجواهرجية » بينما في الشمال الغربي كان للمسلمين جيش كبير حطمته — للأسف — الحرب الأهلية بين الوطنيين والشيوعيين سنة ١٩٤٩ . وما تبقى من هذا الجيش مازال في الصين الآن تحت سلطان الشيوعيين ، ولم يعلم للآن أية تفصيلات عن حالتهم . وقد احتفظ مسلمو الصين بسبب تميز أسلوب معيشتهم بحضارتهم الخاصة وعاشوا محافظين على بيئتهم الخاصة .

وبهذه الطريقة احتفظوا بعقيدتهم ولم تذبهم قبائل الهان كما فعلت بسائر القبائل الصينية . وقد أصبحت المساجد مراكز لنشاطهم الديني والثقافي والاجتماعي .

وقد خطت حركة المسلمين في الصين في خلال الثلاثين عاما الماضية خطوات تدريجية نحو التنسيق والتنظيم .

وقبل سنة ١٩٣٧ تأسس ناد إسلامي في المقاطعات المختلفة في وادي النهر الأصفر . وقد ظل نشاط هذه المؤسسة يمتد في مقاطعات ، الشمال الغربي ، كانسوا ، بينجشا ، شانجهاي حتى اكتسح الطوفان الشيوعي الصين وتراجع الوطنيون من أواسطها .

وحينما بدأت اليابان غزوها للصين سنة ١٩٣٧ انتقلت المنظمات الإسلامية مع الحكومة إلى الغرب . وقد هاجرت جمعية « انقاذ الوطن الإسلامية » الـ Wuhandl مناشدة جميع المسلمين في الصين أن ينضموا إلى أعمال المقاومة ضد اليابان . وفي خلال ذلك نظمت إرساليتان شهيرتان (سنفصل الحديث عنهما فيما بعد) وانخرط كثير من شباب الصين في الجيش . وقاست عائلات مسلمة كثيرة من الهجرة من مكان إلى آخر . وقد فقدوا أملاكهم وقدموا أرواحهم وبذلوا كل ما في وسعهم لدعم حكومتهم . ولم يكن المسلمون أقل إظهاراً لوطنيتهم من الـ Hsna . وقد قاموا بدور هام في خدمة بلادهم ونظموا أعمال الإسعاف والنجدة للاجئين ، وبذلوا جهوداً جبارة ليجعلوا المواد الغذائية في متناولهم .

وقد تدفقت جماعات المواساة إلى المستشفيات تحت إشراف الفتيات المسلمات للعناية بالجرحى من الجنود .

وحينما استسلم اليابانيون سنة ١٩٤٦ أصبحت جمعية « إنقاذ الوطن » الإسلامية « جمعية مسلمي الصين » واستقرت في نانكين . وانتقلت الآن إلى Taipeh ، وفورموزا مع الحكومة الوطنية .

ويرأس جمعية مسلمي الصين الجنرال « عمر باي شونغ شي » ويعمل معه عدد كثير من كبار المسلمين .

التعليم الإسلامي في الصين :

وتتركز الثقافة الإسلامية غالبا في المسجد ، فيجمع إمام المسجد بعض الطلاب ويعلمهم القرآن والعلوم الدينية .

وقد أسس مدرسة شنغ طاه نورمال الإسلامية في Peping (ونسميهم في الصين بالـ halifais) الإمام الشهير الحاج عبد الرحمن ماسونغ تنج . وتهدف إلى تربية الشباب ليصبحوا مدرسين وأئمة وقد أسس في شامنجهان مدرسة إسلامية عليا ، الإمام طاه يوش . وتنتشر المدارس الإسلامية هنا وهناك في المدن والبنادر التي يسكنها المسلمون .

ويوجد أكثر من عشرة تراجم للقرآن الكريم، ولكن أدقها وأصحها ما وضعه الإمام الأعظم « وانج تسنج جياه » .

وتقوم جمعية مسلمى الصين بإرسال الطلبة المسلمين للدراسة فى الخارج خاصة فى مصر للالتحاق بالجامعة الأزهرية لدراسة العلوم الدينية ، وقليل منهم قد أرسلوا إلى تركيا للالتحاق بالأكاديمية العسكرية هناك .

مسلمو الصين والسياسة :

ومما يستحق الذكر أن بعض مقاطعات الشمال الغربى مثل « كانسو » و« نينجشا » و« شانغهاى » هى تحت سلطة المسلمين الكاملة .

والحكام دائماً ينتمون إلى أسرة « ما » . و٩٠٪ من سكان هذه المقاطعات وكذا سكان مقاطعة « سنكين » من المسلمين .

وهناك عدد لا بأس به من المسلمين يعملون مع الحكومة المركزية .

مسلمو الصين والأمور العسكرية :

ونظراً لشجاعة مسلمى الصين فقد أصبح من بينهم كثير من الجنرالات مثل « عمر باى شونغ شى » و« مابو فانج » و« ماجى يوان » و« ماهونج كيه » و« مافو شيان » و« مالين » الخ .

مسلمو الصين والشئون الدبلوماسية :

وأشهر الشخصيات الدبلوماسية الإسلامية الحاج ابراهيم ت . ى . ما . الذى أرسلته الحكومة الوطنية للاستقرار فى القاهرة لثلاث سنوات كسكرتير للوزير من سنة ١٩٤٣ وكقنصل للملايو سنة ١٩٤٨ . وأثناء الحرب الصينية اليابانية نظم بعثتين Goodwell missinis كانت أولاهما فى سنة ١٩٣٨ ، وكان يرافق الحاج « ما » فيها أربعة آخرون أدوا فريضة الحج واجتمعوا بمئات الآلاف من مسلمى العالم وقاموا بدعاية كبيرة ضد العدوان اليابانى وكسبوا عطف العالم الإسلامى ، وبعد الحج طافوا بمصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتركيا وإيران والهند ، ولاقت رحلتهم نجاحاً موفقاً ، أما البعثة الثانية فقد كانت إلى أرخبيل البحار الجنوبية (Archipelags) فاخترقت الملايو وشمال بورينو ولاقوا نجاحاً منقطع النظير ، وقد تبرع الصينيون فيما وراء البحار بما يزيد على ٩٨٠,٠٠٠ دولاراً صينياً وكمية كبيرة من الأدوية للحكومة الصينية مساهمة فى حربها ضد اليابان .

حركة الشباب المسلم :

كانت هناك جمعية للشباب المسلم تعمل تحت إشراف جمعية مسلمى الصين ، كما أن هناك اتحاداً للطلبة المسلمين فى المدارس العليا والجامعات نظمه السيد شمس الدين تونج فى كل من « شونج كنج » و « شانغهاى » ؟

في أفق العالم الإسلامي

وادى النيل :

تصل إلى القاهرة فى الأسبوع الأول من هذا الشهر بعثة سودانية تمثل سيادة عبد الرحمن المهدى باشا لمباحثة دولة نجيب الهلالى باشا رئيس الوزارة المصرية لعله يكون من وراء ذلك تفاهم على مايعود على الوادى كله بالخير . ونحن وإن كنا لا نزال نجهل حقيقة الظروف التى اكتنفت هذه الزيارة سواء فى الخرطوم أو فى القاهرة إلا أننا نرحب بها ونرى فيها خطوة طيبة يمكن أن نختصر بها الطريق . وإن أقل مانستطيع أن نجنيه من مثل هذه الزيارة هو إزالة الوهم من أنفس إخواننا الانفصاليين فى الجنوب حين يرون العاطفة الصادقة التى يشعر بها المصرى نحو أخيه السودانى ، وحين يطمئنون إلى الأساس الذى يقوم عليه إيماننا بالوحدة الطبيعية وسعينا من أجلها . وهذا اللقاء العاطفى واطمئنان إخواننا دعاة الانفصال فى الجنوب على سلامة الأساس الذى تقوم عليه الوحدة فى أنفس المصريين هو الحل الطبيعى للعقدة التى لم يزدها البريطانيون منذ دخلوا السودان إلا تعقيداً ، والتى غفل الحكام المصريون المتعاقبون عن معالجتها بالاتصال المباشر بعيداً عن الوساطة المسمومة ، وأهملوا — إهمالا شديداً — الاستفادة من حقهم المبتور بمقتضى الحكم الثنائى ليبقوا على نافذة مفتوحة يدخل منها النور والهواء على قضية الوحدة .

ثم إن فى هذا اللقاء فرصة تتجاوب فيها الأنفس بالعناصر الأصلية التى تقوم عليها وحدتنا ؛ فإننا أمة ذات لغة واحدة ومصالح مشتركة لاتخفى ، وأهم من هذين وقبلهما وبعدهما أخوة الإسلام ورابطته ، فنحن مسلمون : ربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وقبلتنا واحدة ، والتناصر بيننا أمر يقتضيه إيماننا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمنون عدول تتكافأ دماؤهم يقضى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . وجميل أن يكون هذا اللقاء فى رمضان فلعله بشعائره ونفحاته أفعل من انبعاث معانى الأخوة والتذكير بها .

وتستطيع الحكومة المصرية — على كل حال — أن تستفيد من هذه الزيارة من حيث دراسة الظروف التى تحيط بقضية الوحدة عن قرب ، فلعلها بذلك تعرف أخطاءها وتدرك الأساليب التى يكاد لها بها ، فتختصر الطريق على نفسها إن كانت جادة غير هازلة .

مؤتمر الشعوب الإسلامية :

انتهت جلسات مؤتمر الشعوب الإسلامية الذى دعا إليه شودرى خليق الزمان فى كراتشى واتخذ المؤتمر قرارات كثيرة ، منها قرار بتأييد مصر وشعوب شمال أفريقيا فى نضالها لنيل مطالبها ، وتحرير المسلمين من ربقة الاستعمار فى كل قطر ، وشكر الحكومة الباكستانية على تأييدها للقضايا الإسلامية ، ومنها قرار خاص بفلسطين جاء فيه :

١ — يقرر مؤتمر الشعوب الإسلامية أن قضية فلسطين هى قضية المسلمين كافة ، وأنه يجب دفع الخطر المحدق بالمسجد الأقصى وما حوله من ديار مباركة ، ولايعترف المؤتمر بالأوضاع العدوانية القائمة الآن بالأراضى الفلسطينية المقدسة ، ويعلن وجوب تحرير فلسطين جميعها من كل سيطرة

صهيونية أو استعمارية ، وإعادة أهلها إليها من المسلمين والعرب ، وتسليم ممتلكاتهم ومقدساتهم إليهم عملا بحقهم الطبيعى ، وطبقا لحقوق الملكية الفردية وميثاق حقوق الإنسان والقانون الدولى .

٢ — يقرر المؤتمر معارضة أي صلح أو تسوية مع ما يسمي حكومة إسرائيل ، ووجوب التشدد فى مقاطعتها مقاطعة تامة شاملة ، ومطالبة جميع الشعوب والدول الإسلامية بتنفيذ ذلك بكل الوسائل .

وقد أصدر المؤتمر قرارات أخرى أهمها :

١ — تمكين العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين كافة ، وتثبيتها بالأخلاق الفاضلة ، وإقامة مرافق حياتهم على هدى قواعد الإسلام

٢ — تحرير الشعوب الإسلامية سياسيا واقتصاديا من السيطرة الأجنبية ، وتجمع قواها وسائر مواردها لخير شعوبها ودولها .

٣ — رفع المستوى الأدبى والمادى للأفراد فى البلاد الإسلامية ، وكفالة حقوقهم الاجتماعية والسياسية ، والعمل على إقامة وتوطيد العدالة الاقتصادية بين الشعوب طبقا لمبادى الإسلام ، ونشر الثقافة الصحيحة بينهم

٤ — التوسع فى تعلم اللغات المختلفة للبلاد الإسلامية لتيسير سبل التفاهم بينها ، والحث على تدريس لغة القرآن لشعوبها ، لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها

٥ — تقوية الروابط الاقتصادية والاجتماعية والأدبية بين البلاد الإسلامية

* * *

ونحن نرجو أن توضع هذه القرارات كلها موضع التنفيذ وأن تتوفر لمنظمة المؤتمر الجديدة أسباب ذلك .

أخبار متفرقة

● صرح اللورد مانكروفت عضو مجلس العموم البريطانى بأن النواب « يلهون » فى الجلسات المسائية مع « النائبات » .

● كتب كبير أساقفة تولوز بفرنسا فى إحدى المجلات يقول : « إن اجتماع البنات مع البنين فى الدراسة هو السبب الأول فى الانهيار الملحوظ فى أخلاق الشبان الفرنسيين » .

● قال متحدث بلسان وزارة الخارجية الإيرانية : إن السفير الروسى فى طهران قد زار السيد كاظمى وزير خارجية إيران ، وأكد له أن القاضى الروسى فى محكمة العدل الدولية بلاهاى سيؤيد إيران عند إثارة قضية النزاع بين إنجلترا وإيران الخاصة بالبترول ، وأذاع مجلس الوزراء أن الانتخابات الخاصة بالبرلمان الإيرانى أوقفت فى ٣٠ دائرة حتى يعود الدكتور مصدق بعد عرض القضية فى محكمة العدل ، وذلك تجنباً لما قد يحدث من اضطرابات فى الوقت الذى تعرض فيه القضية . ويشاع أن الدكتور مصدق سيستقيل بعد عودته لأنه يعتقد أن مهمته قد انتهت .

● انتهزت السلطات البريطانية فى عدن فرصة خلاف وقع بين السلطان وبعض أقاربه واحتلت سلطنة « لحج » بدعوى المحافظة على الأمن ، وقد اضطر السلطان إلى الهرب والالتجاء إلى اليمن .